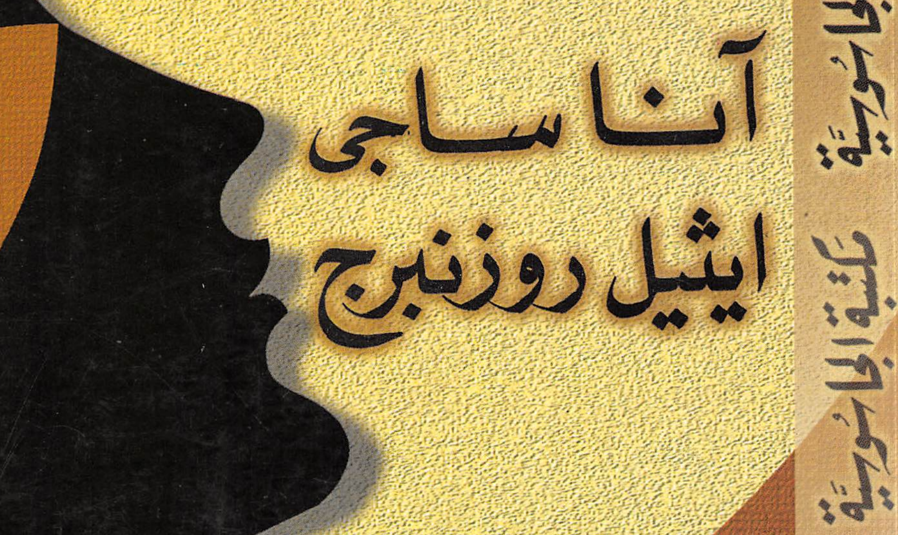
# جاسوسات عاشقات

## خلدهن الحب وحقرهن التاريخ



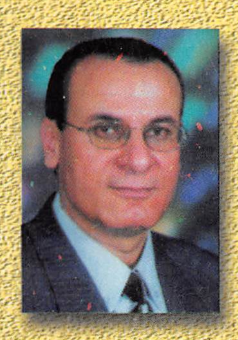
# آنا ساجي
# ايثيل روزنبرج




فريد الفالوجي

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية



# جاسوسات عاشقات

## هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن.فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

## آنا ساجى و ايثيل روزنبرج :

الأولى، كان والدها يعمل محللاً استراتيجياً فى الاستخبارات السوفيتية، وتزوجت من شاب روسى يعمل كاتب شيفرة فى الملحق العسكرى الروسى بكندا، ولكن الزوجين اتفقا على بيع الأسرار الهائلة الناتجة عن التجسس الروسى فى كندا إلى الحكومة الكندية ذاتها ومن بينها معلومات عن أسماء الجواسيس فى المنطقة.

الثانية: سيدة أمريكية تعاطفت مع الشيوعية وجندت زوجها وشقيقها للتجسس على أمريكا لمصلحة السوفييت، وكان هناك اقتناع تام من ايثيل وزوجها بما يفعلان، وحكم عليهما بالإعدام بالكرسى الكهربائى ولم يجزعا بل أقدما عليه مهللين !!

الناشر






مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات
خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

# آنا ساجي
# ايثيل روزنبرج

فريد الفالوجي

الكتاب : جاسوسات عاشقات
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *






رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى
977-399-042-7

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

# المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى هذا الكتاب سنتعرض لحالتين غريبتين أشد الغرابة وقعت أحداثهما فى كندا والولايات المتحدة ، انتهت القصة الأولى بالهرب من الموت فى معسكرات الاعتقال بالاتحاد السوفييتى ، وانتهت الثانية بالإعدام بالكرسى الكهربائى فى أمريكا .. وكانت هناك علاقة بين أحداث القصتين ، وإن كانت بطلتيهما لا تعرفان بعضهما البعض ..!!

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

# آنا ساجى



زوجة أشهر منشق سوفييتى على وجه الأرض، إيجور جوزينكو، ابنة ضابط الاستخبارات التى تعلمت الكثير عن العمل السرى وأدركت خطورته . وشجعت زوجها على سرقة الوثائق الهامة من سفارة بلادها لتكون ثمناً للجوء إلى كندا..!!

# فـى الاحـتفال بالنصـر

بينمـا كانــت الحــرب العالميــة الثانيــة علــى أشــدها، انشـغلت الولايات المتحدة وبـريطانيا وكندا بالأبحاث الذريـة، وكانــت هنـاك رغبة قوية فى إخفاء أسرار هذه الأبحاث عـن السوفييت، بـالرغم من التحالف المشترك بينهم فى الحرب ضد هتلر.

لكن ...

هل كانت موسكو بمنأى عما يجرى فى الخفاء بعيداً عنها..؟

وهل أبعدتها الحروب المستعرة مع جيـوش هتلـر الجـرارة، عـن متابعـة أبحـاث الـذرة التــى تجـرى فــى ســرية تامــة فــى الــدول الثلاثة..؟

بـالطبع لا .. فقـد كـان هنــاك نشـاط سـوفييتى سـرى لأجـل اختراق المجالات العلمية ومؤسساتها الاستراتيجية فى هـذه الـدول، والسطو على الأبحـاث والتحليلات أولاً بـأول لاختصـار الوقـت فـى عملية البحث والتجارب.

وعنـدما فجَّر الأمريكان قنبلـتهم الذريــة التجريبيــة الأولى فــى

١٦ يوليو ١٩٤٥ في ألاموجوردو بالصحراء الأمريكية، كان السوفييت على علم بذلك من خلال جواسيسهم في الولايات المتحدة وبريطانيا، وكانت لديهم التقارير النهائية عن عملية التفجير من الألف إلى الياء.

وفي ٦ أغسطس ١٩٤٥ ضُربت اليابان بالقنبلة الذرية الأولى في هيروشيما[1] .. ثم بالقنبلة الثانية في نجازاكي، فأعلنت استسلامها وهزيمتها في الحرب العالمية الثانية، وخضوعها لكافة الشروط التي جردتها من قوتها العسكرية.

وبينما الغرب في ذروة نشوته بالانتصار في الحرب والقضاء على هتلر ونظام موسوليني، فوجئ العالم بالخبر الذي أذيع من أوتاوا، يحمل فضيحة من أشهر فضائح التجسس في القرن العشرين، في عملية من أعقد العمليات الاستخبارية التي قام بها السوفييت للسطو على الأسرار الذرية في الغرب.

كيف حدث هذا ..؟

---

(١) كانت الطائرة ب — ٢٩ التي ألقت القنبلة تسمى «إينولاجاي» وهو اسم والدة الطيار الكولونيل «بول تيبيتز» الذي أسقط القنبلة فوق هيروشيما هو ومساعده الميجر «توم فيربي»، وكان ذلك في تمام الساعة الثامنة و ١٥ دقيقة، و١٧ ثانية صباح ٦ أغسطس ١٩٤٥، ليموت في الحال أكثر من مائة ألف إنسان، ويفقد الآلاف، ومن بقي حياً من سكان المدينة التي تهدمت، بقيت آثار الإشعاع في نسله حتى يومنا هذا.

# خفقان قلب

البداية كانت قد سطرتها خطوط قصة حب فى موسكو، بين فتاة رقيقة ذكية والدها رجل استخبارات سوفييتى، وشاب هو بالأصل أحد رجال الاستخبارات السوفييتية، فتم الزواج والإنجاب فى موسكو، ثم سافرت الأسرة الصغيرة المتآلفة إلى كندا، حيث تفجرت الفضيحة هناك.

إنها قصة «آنا ساجى سفيتلانا» ، وزوجها «إيجور سيرجيفيتش جوزينكو» ، كاتب الشيفرة فى السفارة السوفييتية بأوتاوا، الذى سيتردد اسمه كثيراً لأحقاب طويلة قادمة.

كانت «آنا سفيتلانا» الابنة الثانية لضابط فى الجيش، الحق بإحدى فرق الجيش بالقرب من موسكو، ثم سرعان ما تم اختياره للعمل كمحلل استراتيجى فى الاستخبارات السوفييتية، لكنه مات فجأة عام ١٩٣١ عن ٤٢ عامًا ، إثر إصابته بمرض خطير، ورأت أسرته أن الدولة أهملت علاجه إلى درجة كبيرة، مما أدى إلى تفاقم حالته الصحية خلال فترة وجيزة.

وكان لوفاة رب الأسرة الأثر النفسى السيئ عند أفراد عائلته،

وبالأخص ابنتـه «آنـا» التـى كانـت شـديدة التعلق بـه لدأبـه على ملاطفتها ومصادقتها ، واصطحابها فى رحلات قصيرة فى موسكو أوقات راحتـه، حتـى أنهـا أصيبت بنـوع مـن خيبـة الأمـل نتيجـة صـدمتها المروعـة لافتقـاده، فسعت والـدتها لإخراجهـا مـن دائـرة الحـزن والجـزع حتـى لا تنهـار إرادتهـا ويلازمهـا الاكتئـاب، لـذلك سافرت بها إلى حيث أسرتها فى كييف لبعض الوقت.

وبعدها، عادت «آنا» إلى هدوء نفسها بالتـدريج، وخـلال إحـدى نزهاتها القليلة فى موسكو، التقت بالشاب الوسيم الـذى خفـق لـه قلبهـا لأول مـرة، واجتاحتهـا يومهـا عاصـفة عاتيـة مـن السـعادة الغامـرة.

## دفـن أسـرار الـدولـة

إنـه «إيجـور سـير جيفيـتش جوزنيكـو» ، الأرمنـى السـوفييتى المولود بموسكو سنة ١٩١٩، الذى أنخرط فـى التنظيمـات الشـيوعية منــذ صـغره، فكـان هـذا مـدعاة لأن يلفـت إليـه الأنظـار كشـاب متحمس واعد.

لـذلك ألحـق بمدرسـة الهندسـة فـى موسـكو، وبعـد التخـرج مباشـرة اخـتير للعمـل فـى الاسـتخبارات السـوفييتية، حيـث تم

تدريبه بشكل جيد على معالجة أعمال الرسائل بالشيفرة، وعلى أساليب العمل السرى، كما تعلم أيضاً اللغة الإنجليزية وأجادها لدرجة التفوق.

وبسبب تفانيه فى العمل بإخلاص، أهلته كفاءته للعمل فى الخارج ، واختير بالفعل لوظيفة كاتب الشيفرة فى دائرة الاتصالات بمكتب الملحق العسكرى بالسفارة السوفييتية فى كندا.

هكذا .. وبعد هذا اللقاء العفوى بين آنا وجوزينكو، انطلقت سهام الحب جارفة عنيفة واخترقت فؤاديهما فلم يقاوما، واستسلما للحب الوافد بغير توقع إلى أن اندفعا فى طريق الزواج، وتم لهما ذلك فى حفل عائلى بسيط ، كان بداية حياة أسرية جديدة ربطتهما بمصير واحد.

وبعد مجىء ابنهما الأول «أندريه» التحق جوزينكو فى يونيو عام ١٩٤٣ بالعمل فى أوتاوا، فسافر إلى كندا ترافقه أسرته، حيث أنيطت به مسئولية غرفة «الشيفرة» فى السفارة، تلك الغرفة الفولاذية المحصنة المنيعة التى تقع فى مبنى آخر بالسفارة، وكان رئيسه المباشر العقيد «نيكولاى زابوتين» المستشار العسكرى ومحرك شبكات الجاسوسية السوفييتية فى كندا.

خلال عمل إيجور جوزينكو بالسفارة، تكشفت الكثير من الأسرار بالغة الأهمية، وهذا ما أقلقه كثيراً ونغّص عليه حياته. فقد كان يعرف تمام المعرفة، أن من يطلع على أسرار العمل الاستخباراتى فى الخارج، لابد أن تجئ لحظة الخلاص منه لتموت الأسرار معه.

لم ينس جوزينكو أيضاً المحاكمات الكبيرة التى جرت فى سنة ١٩٣٧، وانتهت فى خلال بضعة أشهر بإعدام الآلاف من موظفى وزارة الداخلية السوفييتية رمياً بالرصاص، لأنهم كانوا يعرفون أكثر ما يجب، وجاوز الأمر الحدود عندما أرسل الجنرال بيزوف «رئيس الاستخبارات السوفييتية» إلى مستشفى المجاذيب ليحبس بين جدرانه حتى الموت .

## الموت بطرق عديدة

كان جوزينكو يعانى كثيراً من هلع نفسى كلما اكتشف معلومات سرية جديدة عن النشاط الاستخباراتى لبلاده فى كندا الحليفة، وشبكات التجسس المتعددة التى تعمل لصالح موسكو. فمعنى اطلاعه على المزيد من الأسرار ، دنو أجله، ويكون بداية

ذلك حين تتقرر عودته إلى موسكو تحت مسمى التدريب أو التشاور أو خلافه. فعندئذ لن يعود إلى عمله مرة ثانية، بل قد يقتل دون أن يدرى به إنسان[1].

فستالين برغم القضاء على معارضيه فى الداخل والخارج، كان فى حالة قلق وتوتر دائمين بسبب هؤلاء الذين كانوا يعرفون حقائق خافية عن الشعب، وهم رجال وزارة الداخلية وأجهزة الاستخبارات.

لذلك فقد كانت الأوامر تصدر دائماً للعملاء والضباط والدبلوماسيين السوفييت بالعودة إلى أرض الوطن. وكان ممن عادوا من قبل السفير السوفييتى فى مدريد «جينيس»، وخلتروف المراسل الصحفى للبرافدا هناك، والجنرالين كليبر وجورييف، بخلاف العديد من الضباط الذين اختفوا جميعاً فى موسكو بعد عودتهم بفترة وجيزة.

---

(١) تفردت الاستخبارات السوفييتية بهذا النهج فى محاولة منها لدفن الأسرار ومنع تسريبها فى يوم من الأيام، وكذلك للحفاظ على الوسائل المختلفة التى تلجأ إليها موسكو للتجسس على الأعداء والأصدقاء بدون تمييز للحصول على المعلومات والأسرار فى شتى المجالات. لذلك كانت تتخلص من هؤلاء لضمان الكتمان وحرية العمل باطمئنان..

أما هؤلاء الذين رفضوا تنفيذ الأوامر الصارمة بالعودة إلى أرض الوطن، فكان نصيبهم الاغتيال فى الخارج بطرق عديدة، عقاباً لهم على تمردهم.

## رجل المخابرات الخائف

كان جوزينكو يعمل فى حجرة الشيفرة على أعصابه كما يقولون، فقد كانت جميع الأسرار الاستخبارية بين يديه، فهو المكلف ببث الرسائل اللاسلكية المشفرة إلى موسكو، تلك الرسائل التى يكتبها العقيد زابوتين يومياً بما تحويه من أسرار مدهشة وخطيرة.

وهذا ما أثار التساؤلات عند جوزينكو . فكندا فى ذلك الوقت كانت دولة حليفة لبلاده، لكن بلاده تتجسس عليها وتسرق منها كافة الأسرار الاستراتيجية، خاصة أسرار المواد العلمية والأبحاث الذرية.

فحين نشبت الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩، لم تكن إمكانيات تفتيت الذرة، والانتفاع بها فى الحروب، وجعلها من

أسلحتها، سراً من الأسرار[1] .

ذلك أن علماء الطبيعة كانوا قد تناولوا الموضوع بنقاش مستفيض أكثر من عشر سنوات، وكان من مستشارى حكام الكرملين بعض نوابغ العلماء، منهم البروفيسور «بيتر كابتزا» الذى عمل لسنوات طويلة فى كمبدرج، وكان قد ذهب فى زيارة إلى موسكو سنة ١٩٣٥، ولم يعد.

لقد كان جوزيف ستالين[2] يعرف جيداً أن الاتحاد السوفييتى فى حاجة إلى أسرار القنبلة الذرية لتصنيعها وامتلاكها ، لا ليفوز فى الحرب على ألمانيا واليابان، إنما لتقوية مركزه بين الدول الكبرى فى السنوات التى تلى هزيمة ألمانيا مباشرة، وتحطيم أولئك الذين يقاومونه[3] .

---

(١) ا. هـ كوكريدج: أغرب جاسوسية فى التاريخ. دار الكتاب العربى ـ بيروت «بدون تاريخ إصدار».

(٢) ستالين يعنى بالروسية «الرجل الصلب»، وهو ابن اسكافى سكير كثيراً ما صب جام غضبه على ابنه ستالين وأوسعه ضرباً وركلاً. وعندما تبوأ ستالين مقعد السلطة فى روسيا سنة ١٩٢٤، حكم البلاد بأبشع أساليب الفتك والدكتاتورية، حتى قيل أن طغيانه لم يكن له مثيل، وأنه خلال ٣٠ عاماً من حكمه قتل أكثر مما قتله جميع القيياصرة الروس خلال أربعة قرون، وانتحرت زوجته «ناديزادا أليوفنا» بالرصاص لعدم قدرتها على احتمال فظائعه. وذكرت المصادر أنه قتل أكثر من ٢٠ مليون سوفييتى حتى مات سنة ١٩٥٤.

(٣) فى ١٦ يوليو ١٩٤٥ نجحت أمريكا فى تجربة التفجير الذرى الأول. وفى أغسطس ١٩٤٥ ضربت اليابان بالقنبلة الذرية، وفى ٥ سبتمبر ١٩٤٥ هرب جوزنكو، وفى عام ١٩٤٩ فجرت روسيا قنبلتها الذرية الأولى.

فأحد أهم أهداف الإدارة السرية السوفييتية، مفادها أن كل الدول الرأسمالية «أعداء» ، ووفقاً لهذا المبدأ، ظلت الدول الغربية فى نظر الاتحاد السوفييتى «أعداء»، حتى خلال تحالفه معها فى الحرب العالمية الثانية.

لذلك نشطت شبكات الجاسوسية السوفييتية فى كندا وأمريكا وإنجلترا فى البحث فى أسرار الأبحاث الذرية، وإنتاج الأسلحة الذرية أيضاً، وعدد ما صنع من قنابل ذرية.

إذ كان القصد ليس مجرد سرقة أسرار فنية بغية الاقتصاد فى البحث، بل كان القصد الوقوف على الإنتاج المحتمل من هذه القنابل لتقدير «قوة الغرب» بعد انتهاء الحرب والوقوف بثبات فى مواجهتها .

لكل ذلك، أصيب جوزينكو بالهلع الشديد ، وشاركته زوجته الملتاعة أعاصير خوفه إذا ما استدعى فجأة إلى موسكو، فقد كان معنى ذلك الحكم عليه بالموت حتماً لكى تموت معه الأسرار التى عرفها من خلال عمله.

# المقابل

كانت الزوجة الحزينة «آنا» على علم بتفاصيل استراتيجية العمل السرى فى أجهزة استخبارات بلادها. فوالدها كان ضابط استخبارات له باع طويل مشبع بالخبرة والحنكة والمعرفة، وبرغم ذلك، كثيراً ما كانت تراه مهموماً ومكتئباً عند اختفاء زميل له، أو تلفيق إحدى القضايا ضد زميل مخلص لينال حكماً بالإعدام رمياً بالرصاص فى الحال.

هذا، وقد أكدت لها أمها ذلك مراراً عندما كبرت واستوعبت الحياة، وجاء ذلك نتيجة لخبرتها فى التعامل مع الأحداث المأساوية التى كانت تطرأ فتربك حياة زوجها.

لكل ذلك عاشت الزوجة المتألمة «آنا» فترة عصيبة من عمرها فى كندا، وهى ترى زوجها يكاد الخوف يقضى عليه ويطحنه طحناً ليل نهار.

ففى الليل كان ينام نوما متقطعا خفيفا تتخلله نوبات من الهلاوس التى تؤكد مدى توتره وخوفه على حياته وحياة أسرته .

وفى النهار كان دائم الشكوى من الصداع لقلة نومه فى الليل .. وتفكيره المتصل فى احتمالات التخلص منه لأنه أطلع على أسرار كثيرة وخطيرة كفيلة بأن تؤثر على علاقات بلاده بدول الحلفاء .

حتى فوجئت به ذات يوم قائظ من أيام أغسطس ١٩٤٥ يبدو منهاراً مترنحاً .

وبكلمات متقطعة ونظرات زائغة أخبرها بأنه مطلوب فى موسكو للتدريب.

فصرخت دونما وعى منها وقد أدركت أن النهاية المرعبة قد اقتربت.

لم تكن آنا زوجة تقليدية كأية زوجة، إنما كانت لرفيق حياتها الصديقة والحبيبة، وتعودت أن تستمع إليه وهو يقص عليها أعاجيب الحكايات عن أسرار عمله، فعاشت الخوف مثله، وأدركت أن من يعرف كل هذه الحقائق المؤهلة يجب أن يموت فى عرف أجهزة استخبارات بلدها.

ولأنها كانت تدرك حجم المصيبة التى ستقع حتماً، طلبت من جوزينكو أن يرفض العودة إلى موسكو، وأن يطلب اللجوء السياسى إلى كندا.

لقد كانت آنا ساجى سفيتلانا تعرف أن كندا دولة حليفة، وسترفض بلا شك لجوء جوزينكو إليها سياسياً، دون ثمن مقبول، والثمن هنا كم الأسرار التى يحملها زوجها مختزنة فى رأسه، ويحفظها عن ظهر قلب، وهى معلومات ثمينة جداً من شأنها أن تجبر كندا على إعادة صياغة علاقاتها بموسكو.

## زوجة رجل مخابرات

لكن ... لماذا لا يهرب جوزينكو بوثائق حقيقية تساعد على سرعة قبوله وحمايته كلاجئ سياسى منشق ..؟

هكذا فكرت «آنا».

وتناقشت طويلاً مع زوجها حول كل هذه المسائل، وأكدت له بأنها على اقتناع تام بضرورة انشقاقه،وبأنها ستكون إلى جواره فى شتى الظروف، ولن تتركه يواجه مصيره وحده مهما جاءتها التهديدات بإيذاء عائلتها فى موسكو، وهى تهديدات متوقعة ومتعارف عليها فى مثل هذه الحالات.

وضعت «آنا» أيضاً فى حساباتها، حادثة «أفيدوكيا بتروف» المشهورة، وهى زوجة رجل الاستخبارات السوفييتى فى استراليا، تلك الحادثة المروعة التى وقعت قبل أسابيع معدودة، وبالتحديد

فى أبريل ١٩٤٥، حيث انشق زوجها ولجأ سياسياً إلى استراليا، بينما فشلت فى اللحاق به وكانت الاستعدادات تجرى لترحيلها إلى موسكو. وفى المطار صرخت بكل قوتها أمام المصورين ووسائل الإعلام المختلفة، وبهذه الطريقة أنقذت نفسها من الهلاك.

لقد كان بتروف يعلم، وشانه فى هذا شأن جوزينكو، أن من أدار ظهره إلى موسكو فتل تحت سمع وبصر رجال البوليس، سواء أكان ذلك فى شوارع باريس أو فى ظلال جبال الألب السويسرية، أو فى غرفة بفندق فى واشنطن .

لهذا.. طلبت «آنا» من جوزينكو أن يسرق العديد من الوثائق الهامة التى تدعم أقواله، وتؤكد عمليات التجسس السوفييتى ضد كندا، ولا سيما إن كانت هناك أسماء لجواسيس يعملون فى كندا أو غيرها من دول الغرب لصالح موسكو، مما سيزيد من الاهتمام بأمره وحمايته.

ولنترك جوزينكو يقص بنفسه ماذا فعل بالضبط فى أستراليا، لكى يحصل على الوثائق ويهرب بها من السفارة السوفييتية، ويسرد لنا تفاصيل ودقائق كل ما حدث له فى كندا حتى اتخذ قرار قبوله لاجئاً سياسياً هو وأسرته..[1]؟

---

(١) محمد المشرف خليفة: أشهر الجواسيس. مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٩١.

# ساعة الصفر

يقول جوزينكو :

- كانت ليلة كالحة السواد من ليالى الصيف الحارة حين رجعت إلى مكتب الملحق العسكرى السوفييتى العقيد زابوتين . وكنت قد فكرت كثيراً قبل أن أستقر على تحويل مجرى حياتى بالانتقال من معسكر لآخر.

لم أكن قد حددت يوما بعد حتى اضطرنى إلى ذلك العقيد زابوتين، حين اتخذ قرارا مفاجئاً بتسليم عملى إلى الملازم كولاكوف بعد تدريبه على الشفرة، حتى يضمن وجود ضابط يقوم بالعمل فى حال نقلى.

أنا إيجور جوزينكو لست بطلا، وإنما مجرد رجل عادى كعامة الناس ولم يحدث أن برزت فى الألعاب الرياضية، وإنما انحصر كل نجاحى فى حقل الدراسات والبحوث.

وبطبعى لا أميل إلى حياة العنف والمخاطر[1]، ولكن فى تلك

---

(١) تقوم أجهزة الاستخبارات بتدريب رجالها تدريبات بدنية شاقة من أجل الارتقاء بمستوى اللياقة الجسدية .. إضافة إلى فنون ومهارات أخرى عديدة للتصرف فى شتى المواقف الصعبة ، مع التدريب أيضا على استخدام الحيل والأسلحة المختلفة لمواجهة أية معضلة .

الليلة الحارة من ليالى الصيف ـ ليلة ١٩٤٥/٩/٥ - أحسست بأن هذه قد تكون آخر ليلة فى حياتى ، فثمة خطأ واحد غير مقصود قد يؤدى إلى فشل كل مخططاتى ، وقد أكون تحت المراقبة من قبل البوليس السرى السوفييتى ومنظماته.

بل وخطر لى أيضا أن عملية نقل الملازم كولاكوف ليحل محلى قد تكون عملية مدبرة لدفعى إلى اتخاذ قرار سريع يلقى بعده القبض على، ومع هذا مضيت فى تنفيذ الخطة التى وضعتها مع زوجتى «آنا»، فإما أن آخذ المستندات الليلة أو أتركها حيث هى إلى الأبد ..

وقررت بعد أخذ المستندات أن أحملها إلى صحيفة كندية ..

وكانت ليلة الأربعاء التى اخترتها مناسبة، لأن المناوبة فى مكتب الملحق العسكرى كانت تلك الليلة على الملازم كولاكوف، ومصرح لمن يناوب بالليل أن ينام صباح اليوم التالى حتى منتصف النهار، قبل أن يداوم .

وعليه ، فإن هذا سيمنحنى فرصة ووقتا للهروب قبل أن يعود كولاكوف للعمل ويبلغ باختفائى.

وبما أن كل أعمال الشفرة تعتبر من الأمور السرية، فإنه باستثناء العقيد زابوتين فلا أحد غيره يعرف بساعات داومى الرسمى.

وكنت أعلم ــ وهذا ما شجعنى أكثر على اتخاذ خطواتى بحرية ــ أن العقيد نيكولاى زابوتين الذى كان مدعوا لمشاهدة أحد الأفلام مساء الأربعاء ، كان سيتأخر بدوره عن الدوام الرسمى حتى منتصف نهار اليوم التالى.

## المغامرة المثيرة

ويضيف جوزينكو :

ــ كان على ليلة الأربعاء أن أذهب أولاً إلى الملحقية العسكرية لإتمام بعض الأعمال، ثم أذهب بعدها إلى السفارة حيث توجد المستندات المهمة، مستفيداً من وظيفتى ككاتب شفرة يسمح لى بالدخول إلى الملحقية أو السفارة فى أى وقت أشاء ليلا أو نهارا.

عندما اتجهت إلى الملحقية العسكرية ودخلت إلى الصالة، أبصرت بالملازم كولاكوف وقد اتخذ مكانه فى مكتب المناوبة الليلية. وفجأة ظهر أمامى النقيب جولكين، حارس الباب، ولم

يكن فى حقيقته مجرد حارس، إنما هو ضابط مخابرات كفء. وبادرنى بعد التحية بقوله:

- ما رأيك فى اصطحابى لرؤية أحد الأفلام ؟!

وأشعرته بأن لدى الرغبة متسائلاً:

- أى الأفلام هو؟

ورد بأن الفيلم المعنى يعرض فى دار للعرض قريبة من الملحقية.

ووجدت فى الذهاب معه فرصة لأن مجيئى للملحقية بحجة العمل إنما كان فى حقيقته للاطمئنان على مناوبة كولاكوف وضمان تأخره بالتالى عن الدوام صباح اليوم التالى.

ومن ثم أجبت النقيب قائلاً:

- هذه الفكرة جيدة خاصة وأن هذا الجو الحار لا يسمح بالعمل الآن.

ثم انضم إلينا عدد من موظفى الملحقية.

وصلنا إلى دار العرض.. وأبديت شعورا بخيبة الأمل بمجرد أن

رأيت صور الفيلم وقلت للنقيب:

- يا للعنة، لقد رأيت هذا الفيلم من قبل، هيا ادخلوا، انه فيلم جيد وسأذهب لدار عرض أخرى.

وبمجرد أن دخلوا اتجهت صوب السفارة هذه المرة، وصعدت الدرج وحييت الحارس بإيماءة فرد بمثلها، ثم وقعت على دفتر الدخول.

وحين هممت بوضع القلم فى جيب سترتى لاحت منى التافة سريعة إلى مكتب الاستقبال وكاد الدم يتجمد فى عروقى. فهناك يجلس فيتالى بفلوف رئيس منظمة البوليس السرى السوفييتى فى كندا.

استعدت رباطة جأشى فى لحظات، ومررت من مكتب الاستقبال وتعمدت الانشغال بوضع قلمى فى جيب السترة. ومن طرف خفى لاحظت أن بافلوف لم يعرنى اهتماماً، أو علـه لم يلحظ دخولى .

# في غرفة الشيفرة

ضغطت على الجرس السرى تحت عمود الدرابزين، وصعدت الدرج الذى يقود إلى غرفة الشفرة السرية وأزحت الستار، ثم وضعت وجهى أمام رياضنوف - صديقى - كاتب شفرة الملحق التجارى، وسرنى أنه كان وحده.

تبادلنا التحية وبعض عبارات عن الطقس الحار، ثم سألنى عما إذا كنت سأعمل إلى وقت متأخر.

أجبته بأن لدى بضع برقيات سأعدها بالشفرة ثم الحق عرضا سينمائياً يبدأ فى الثامنة والنصف. وانصرف رياضنوف ليكمل عمله.

دخلت إلى مكتبى الصغير - هنا بالسفارة - وأغلقت الباب بحذر من خلفى واتجهت صوب طاولة المكتب.

وفتحت الادراج وأخرجت حقيبة العقيد زابوتين التى تعمدت تركها حيث هى صباح ذلك اليوم، وكانت معظم المستندات التى أريدها بداخلها والبقية تقبع بداخل الدوسيهات؛ وكلها معلمة من قبلى لإخراجها بسرعة عند الحاجة.

وكانت بعض المستندات عبارة عن أفرخ ورق كبيرة الحجم وبعضها قصاصات صغيرة، (وفى مجموعها ١٥٩ مستندا) .

فتحت قميصى ووزعت الأوراق على جسدى بشكل منتظم حتى لا يظهر أى نتوء غير طبيعى .

ولما فرغت أعددت بعض البرقيات بالشفرة لأبرر سبب عودتى وكانت هذه البرقيات التى احتفظت بها صباحا تحوى معلومات أمدت السفارة بها عميلة كندية تدعى ( إيما رويكين ) وتعمل بوزارة الشئون الكندية .

هذه البرقيات فكرت كثيراً قبل أن أضع نسخاً منها فى جيبى وكان هذا لسوء حظ إيما ، فقد دفعت ثمن ذلك ٣ سنوات سجناً ، فيما بعد.

## الوثائق المسروقة

ويكمل موظف الشفرة :

- بعد أن أنهيت عملى فحصت قميصى جيداً قبل أن أغادر المكتب.

وعبرت الممر وسلمت البرقيات المعدة بالشفرة إلى رياضنوف

ليرسلها إلى موسكو، ثم سلمته حقيبة العقيد زابوتين ليضعها فى الخزينة.

ووقفت برهة الاحظ وجه رياضنوف بحثا عن أى دليل شك قد يحسه تجاهى من خلال سلوكى تلك الليلة أو «مظهرى»، وبدا لى أنه لم يلحظ شيئا .

تلك كانت مخاوفى - يكاد المريب يقول خذونى - ودلفت لغرفة الحمام المجاورة لأغسل يدى ومن هناك صحت أحادث صديقى رياضنوف:

- ماذا لو تركت كل هذا وصحبتنى للسينما؟

وأجاب بصوت عال:

- لكم أود ذلك ولكن مع وجود بافلوف تحت فهذا شبه مستحيل.

وما كدت أسمع الاسم حتى أحسست أن رجلى لم تعودا تحملانى.

إلا أنى عدت وتمالكت نفسى، كنت قد نسيته تماما .. وبعد برهة من الاطمئنان على هندامى فتح لى رياضنوف الباب الفولاذى وخرجت لاهبط الدرج فى حذر شديد مخافة أن تنتفخ

بطنى بمستند يخرج عن موضعه أو تخرج إلى النور قصاصة صغيرة من رجل البنطال.

كانت حبات من العرق تقف عند حاجب العين، وقلبى أصبح منقبضا وأنا أقترب من مكتب الاستقبال حتى أننى لم أجرؤ على مد يدى إلى جيبى لأخرج منديلا أمسح به العرق.

وبدا لى الباب الخارجى بعيدا وكأنه يبعد أميالا، واقتربت من مكتب الاستقبال ثم تركته خلفى دون أن ألفت نظر احد، وتملكنى شعور بالفرحة طاغ حين وجدت المكتب خاليا من بافلوف .

كان الرجل قد ذهب.

## إذهب مرة أخرى

ويضيف :

ـ عند الباب الخارجى وقعت على الدفتر وخرجت. وحين ضمنى هواء الليل لم أصدق أنى نفدت بجلدى.

كان الجو لا يزال ساخنا ورطبا ومع هذا تنفست الصعداء .. أخذت أول سيارة أجرة مرت بى وانطلق بى السائق نحو صحيفة

أوتاوا الكندية.

كنت أرجف برغم نجاتى وأنا فى طريقى للصحيفة ولا أدرى لماذا ..

وعند مبنى الصحيفة وقفت أجفف عرقى وأصلح من هندامى والتفت لأتأكد من أن أحدا لا يتبعنى قبل أن أدلف لمكاتبها وأسأل عن مكتب رئيس التحرير.

فى الطابق السادس وجدت المكتب وقد كتب على الباب «رئيس التحرير» ، وهممت بأن أطرق الباب ثم أوجست خيفة:

ـ ماذا لو كان بالصحيفة عميل سوفييتى؟

تركت الباب ورجعت إلى المصعد ورحت أهبط إلى الطابق الأرضى، وتوقف المصعد ليصعد إليه بعض الأشخاص بينهم فتاة راحت تنظر إلى وتبتسم ثم ما لبثت أن سألتنى:

ـ ماذا تفعل هنا؟ هل تحمل أخبارا من السفارة؟

وخفت .

حقيقة خفت، كان وجهها مألوفا لدى ومع هذا لم أذكر أين رأيتها.

وتساءلت:

ـ بم أجيبها؟

وأخيراً هبط المصعد إلى الطابق الأرضى وحين فتح الباب هممت بكلمات اعتذار للفتاة وقلت لها إنى على عجل. وانطلقت مسرعا إلى الشارع.

وبعد تفكير أخذت سيارة إلى البيت لأتحدث إلى «آنا» فى الموضوع. طرقت الباب بطريقة خاصة متفق عليها وفتحت الباب لتستقبلنى متسائلة:

ـ هل حدث ما يسوء؟.

جلست على الأريكة وقصصت عليها الحكاية، فطمأنتنى بأن الفتاة لابد وأن تكون صحافية شاهدتنى فى إحدى حفلات السفارة .

واكتسبت ثقة من «آنا» وزال الخوف.

وعدت أسألها:

ـ ماذا بعد؟

أجابت :

ـ اذهب مرة أخرى للصحيفة.

## معذرة .. معذرة

ويكمل جوزينكو :

ـ فتحت قميصى وكانت بعض المستندات قد بللها العرق فجففناها ووضعناها جميعها فى لفافة من الورق. وخرجت مرة أخرى لصحيفة أوتاوا. نفس عامل المصعد أخذنى إلى الطابق السادس .

هذه المرة لم أتردد وطرقت باب«رئيس التحرير» ، لم أتلق ردا. وعاودت الطرق مثنى وثلاث ورباع.

كان الباب مغلقا ولا أحد بالداخل ، فذهبتُ إلى باب آخر ودلفت منه إلى صالة واسعة مليئة بالمحررين وكلهم فى شغل شاغل لهذا لم يعرنى أحد منهم التفاتة، ثم لمحت صبيا وسألته عن رئيس التحرير، فأجاب بأنه ترك الجريدة لبيته وتركنى وانصرف.

فاقتربت من كاتب على الآلة الكاتبة وأخطرته برغبتى فى مقابلة المسئول .

وأضفت قائلاً:

ـ أن الأمر فى غاية الأهمية.

رمقنى بنظرة تساؤلية ثم أخذنى إلى الجانب الآخر من هذه الحجرة الكبيرة لأجلس إلى رجل مسن.

أخرجت المستندات المسروقة ونشرتها أمامه على مكتبه. وقلت موضحا:

ـ هذه مستندات توضح أن عملاء السوفييت فى كندا يبحثون عن بيانات وحقائق ومعلومات عن القنبلة الذرية.

نظر إلى الرجل مليا ثم أخذ بعض المستندات ونظرا إليها للحظة ثم قال لى:

ـ هذه مكتوبة باللغة الروسية.

ثم أضاف:

ـ معذرة فهذه لا تدخل فى اختصاص عملنا التحريرى. اقترح عليك الذهاب إلى البوليس الكندى الملكى أو تعال فى الصباح لتلتقى برئيس التحرير.

حاولت أن أوضح للرجل خطورة موقفى إذا اكتشف غيابى

والمستندات صباحا .

ولكنه لم يزد على أن قال لى:

ـ معذرة ، أنا مشغول.

ثم تركنى وترك مكتبه وانصرف بدون اهتمام .. وشعرت بالعجز والقلق.

وفى الشارع اتكأت على جدار وبدأت أجمع أفكارى.. وأخيرا قررت محاولة مقابلة مسئول على أعلى المستويات. وبدا لى وزير العدل اختيارا مناسبا.

ومشيت إلى مبنى وزارة العدل وأوقفنى أحد رجال البوليس عند المدخل. وأخبرته برغبتى فى مقابلة الوزير مؤكدا أهمية اللقاء فأجاب فى أدب:

ـ أن الساعة قد اقتربت من منتصف الليل ولن تستطيع أن تقابل أحدا قبل صباح الغد. فمعذرة.

وبدأت أتضايق من الكلمة المكررة: معذرة، معذرة.. معذرة.

# لا أحـد يهـتم

عـدت إلى البيـت مرهقـا وخائفـا، وعـادت «آنـا» تطمئننـى وتنصحنى بأخذ قسط مـن النـوم، كمـا شـجعتنى علـى لقـاء وزيـر العدل فى الصباح.

وأخذت المستندات ووضعتها فى حقيبتهـا وحـاول كلانـا النـوم فلـم يغمـض لأحـدنا جفـن.. وظللنـا نتحـادث حتـى ظهـر الخـيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجـر، واتفقـت وزوجتـى «آنـا» أن نذهب جميعـا للـوزارة فـى التاسـعة هـى وشخصـى وابننـا الصـغير أندريه.

ويبدو أنـى غفـوت بعـد ذلـك.. إذ اسـتيقظت علـى يـدها وهـى تهزنى فى السابعة صباحا. ونهضت وارتديت حلتـى البنيـة اللـون وقبل مبارحة البيت طلبت من زوجتى «آنا» أن تحمل المستندات فى حقيبتها.

وفى وصف تلك اللحظـات الحرجـة التـى مـرت بكاتـب الشـفرة وزوجتـه ، يضـيف الأسـتاذ « محمـد مشـرف خليفـة» فـى كتابـه «أشهر الجواسيس»[1] على لسان جوزينكو :

---

(١) مصدر سبق ذكره.

- عند مبنى وزارة العدل أخبرت موظف الاستقبال برغبتى فى مقابلة الوزير لأمر هام.

رمقنى الرجل بنظرات فيها ريبة ثم تحدث مع أحدهم فى الهاتف.

واصطحبونا إلى مكتب الوزير حيث سألنى سكرتيره عن طبيعة العمل الذى أود أن أحادث فيه الوزير؟ فأخبرته أن الأمر من السرية بحيث لا أستطيع أن أخاطب فيه أحدا غير الوزير شخصيا. حدقنى بنظرة ثم التفت إلى زوجتى وابنى ويبدو أنه اعتبرنى للحظة مجنونا ..

ولعله تساءل:

- إذا كان مجنونا فلماذا صحب معه زوجته وابنه؟

ثم دلف إلى مكتب داخلى وسمعته يُحادث أحدا على الهاتف. وعاد السكرتير ليقول لى:

- معذرة .. الوزير فى مكتبه الآخر بمبنى البرلمان وسآخذكم إليه فى الحال .

ووصلنا مبنى البرلمان وكان لابد من أن أمر بسكرتير الوزير هناك.

وتكررت نفس القصة .

وأخيرا طلب من السكرتير الأول أن يعود بنا إلى مبنى وزارة العدل.

وعدنا لنجلس حوالى الساعتين قبل أن يرن جرس الهاتف وإذا بالسكرتير يخطرنا:

- لقد تعذر حضور الوزير.. معذرة..

ونظرت إلى زوجتى فنصحتنى بالذهاب للصحيفة مرة أخرى. لعل وعسى.

وحين وصلنا هناك لم يكن رئيس التحرير قد حضر وأرسلوا صحافية للتحدث معنا.

فأخبرتها بتفاصيل القصة من أولها . واستمعت لى جيدا ثم نظرت إلى المستندات قبل أن تأخذها إلى مكتب رئيس التحرير ثم عادت بعد لحظات لتقول:

- معذرة...

رددت تلك الكلمة مرة أخرى، ثم أضافت:

- قصتكم لا تجد اهتماما من التحرير، فنحن حلفاء لروسيا الآن.

## مشاعر الضياع والخوف

وهنا تحدثت «آنا» متسائلة:

- ماذا تقترحين ؟

وأجابت الصحفية قائلة:

- لماذا لا تذهبون إلى مكتب النائب العام وتقدمون طلباً للحصول على الجنسية الكندية، حتى تأمنوا على الأقل عدم عودتكم إلى السفارة أو موسكو؟

وأخذنا بنصيحتها.

وفى مكتب النائب العام الملكى، وجدنا الموظفة المسئولة عن تقديم طلبات الجنسية غير موجودة ، وقالوا لنا أنها خرجت لتناول طعام الغذاء.. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة والنصف بعد الظهر ..

وتساءلت :

- لا شك انهم افتقدونى هناك ولكن هل يا ترى افتقدوا المستندات؟

تناولنا وجبة خفيفة فى مطعم مجاور .. وتركنا أندريه مع صديقه لزوجتى إنجليزية الأصل. وعدنا للمكتب لنملأ طلبات الجنسية .

وحين طلبت منا الموظفة العودة غداً سألتها:

ـ كم يستغرق أخذ الجنسية الكندية؟

أجابت:

ـ لست متأكدة ولكن قد يستغرق الأمر شهورا.

وأجهشت زوجتى بالبكاء .. وحاولت تهدئتها ورأيت فى أقصى المكتب سيدة ترتدى فستانا أحمر كنا قد تحدثنا إليها ساعة دخولنا فوجدنا منها ترحيبا .

ولست أدرى لماذا ولكنى اندفعت نحوها وقصصت عليها قصتى كاملة.

استمعت لى فى ذهول ثم نهضت وجلبت مقعدين وأجلستنا، وقرأت على مكتبها اسم: السيدة فيرناندا جوبارن والتفتت الينا لتقول :

ـ هذا أمر يجب أن يعرفه العالم. سأحاول مساعدتكما.

وبدأت مسز جوبارن سلسلة من الاتصالات بالصحف.

وبعد نصف ساعة جاء إلى المكتب أحد الصحافيين. ورويت له القصة وترجمت له ما تحتويه المستندات واستوقفني كثيرا عند ترجمة الدوسيه الخاص بالسيد سام كار مسئول حزب العمل التقدمي، وفي النهاية هز رأسه قائلاً :

ـ هذا أمر أكبر من أن تتناوله صحيفتنا. أنه أمر يجب أن يتولاه البوليس أو الحكومة الكندية. وأقترح أن تأخذا هذه المستندات اليهما..

وخرج الصحافي وتركنا مع المسز جوبارن التي نصحتنا بدورها بالاتصال بالمسئولين في الحكومة.

## في شقة الجيران

ويضيف :

وسرنا في وهج الشمس المحرقة، ورغم تكاثر العوائق لم يساورني اليأس، فقد كنت أؤمن منذ طفولتي بأن المصاعب تكثر لتنتهي إلى حل.. ولكن زوجتي وقد أرهقت لم تزد على أن قالت لي:

ـ دعنا نذهب إلى البيت.

كنت مرهقاً أيضاً، وبدا لى أن البيت هو المكان المناسب للتفكير فى هدوء برغم ما قد يحمله هذا من مخاطر .. وتركتها لتأخذ ابننا اندريه من جارتها الإنجليزية ثم دلفت إلى شقتنا وأشرت إليها لتأتى بعد أن وجدت الشقة خالية آمنة.

بعد أن ارتحت قليلا وقفت عند النافذة انظر إلى الشارع وأحسست بأن قلبى قد توقف، إذ لمحت رجلين يجلسان على أريكة فى الحديقة المقابلة وبين الحين والأخر ينظران إلى نافذة شقتنا دون غيرها.

ابتعدت عن الستارة. وحين هممت بدعوة زوجتى لتنظر من خلف الستارة سمعت طرقا على باب شقتى. وتوالت الطرقات ثم سمعت صوتا ينادينى من خلف الباب باسمى:

ـ جوزينكو .

عرفت فى الصوت الأجش سائق العقيد زابوتين.

وظللنا فى مكاننا لا نتحرك ولا نرد على الطارق ثم سمعنا وقع خطواته وهو يهبط الدرج . ونظرت من النافذة ولم يكن الرجلان قد بارحا الأريكة بعد ..

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة مساء بقليل، وتذكرت أن جارنا الرقيب أول «مين» بالقوات الجوية الملكية الكندية سيكون هذه الساعة فى داره.

وأسرعت إلى الشرفة الخلفية لشقتنا ورأيت الرقيب أول مين وزوجته يجلسان فى شرفة شقتهما يحتسيان الشاى ، فخاطبته قائلاً بلا مقدمات:

ـ هل يمكن أن نترك ابننا أندريه معكما إذ أننا نخشى أن يصيبنا مكروه؟

نظرا إلى بدهشة وطلب منى أن أذهب إليه لأخبره لأمر فحدثته بالموضوع .

لم أخف عليه شيئا وصدقنى الرجل ، خاصة بعد أن أبصر بالرجلين اللذين يراقبان شقتنا . ثم طلب منى أن أترك أندريه ووالدته معهما، وارتدى هو ملابسه على عجل ليذهب ويخطر البوليس.

وصعدت إلى الشرفة مرة أخرى لأبعث بزوجتى وأندريه إلى شقة الرقيب أول مين ولكنهما خارج الشقة وقفا ليحدثا جارتنا السيدة فرانسيس اليوت بالقصة، فطلبت أن نظل جميعا معها

حيث أن زوجها وابنهما ليسا موجودين.

ورحبت بالفكرة وانتقلنا ثلاثتنا عندها ..

ولم يمض من الوقت الكثير حتى سمعنا وقع أقدام على السلم، اتضح فيما بعد أنها للرقيب أول مين ولرجلين من رجال البوليس كان قد أحضرهما معه.

وروينا القصة كاملة للمرة السابعة.

وبعد إلقاء أسئلة على السيدة اليوت أخطراها بأنهما سيضعان رقابة على شقتها المقابلة مباشرة لشقتنا - طوال الليل - وأخطراها أيضاً بترك نور الحمام مضيئاً إذ أنه يرى من الشارع حتى إذا ما أحست بالخطورة يبقى عليها أن تطفئ النور لتكون علامة لتدخلهم المباشر.

## زوار منتصف الليل

واستسلمنا للراحة فى شقة السيدة اليوت وكانت الساعة حوالى العاشرة.

وفيما بين الساعة الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة عند منتصف الليل، سمعنا طرقا على باب شقتنا، فنهضت مسرعا ومن

عدسة الباب نظرت. ورأيت عند باب شقتنا بافلوف رئيس البوليس السرى السوفييتى، وبصحبته روجوف وانجليوف وكاتب شفرة بافلوف..

ويبدو أن الطرق أيقظ الرقيب أول مين إذ سمعته يسألهم عما يريدون ثم يجيب:

ـ إن أسرة جوزينكو ليست موجودة بالشقة.

وشكره بافلوف وهبطوا الدرج.

وحين هممت بأن ابتعد عن الباب أوقفتنى زوجتى، وفجأة سمعنا وقع أقدام الأربعة الذين هبطوا يصعدون السلم ثانية فى هدوء.

ونظرت من جديد من عدسة الباب لأرى بافلوف وهو يستخدم عتلة حديدية لفتح شقتنا عنوة، وسرعان ما فتحوه ودلفوا إلى الداخل.

اقتربت منى السيدة اليوت لتهمس:

ـ لقد أطفأت نور الحمام مرارا ولكن رجال البوليس لم يحضروا ماذا أفعل؟

قالت آنا وهى ترتجف:

ـ إتصلى هاتفيا بالبوليس.

وأمسكت الهاتف لتبلغ الشرطة أن هناك من يحاول السطو على الشقة المقابلة لشقتها (شقتنا بالطبع) .

وفى وقت قصير ظهر رجلا البوليس السابقان.. وفتحا باب شقتى دون أن يطرقا الباب ليجدا أربعة رجال يعبثون فى هدوء بأدراج مكتبى .

واسترقنا السمع وكان بافلوف يرد على البوليس بقوله:

ـ هذه الشقة لزميل لنا يعمل بالسفارة السوفييتية اسمه إيجور جوزينكو، وقد سافر إلى مدينة تورنتو فى مهمة وسمح لنا بأخذ مستندات، تركها لنا هنا.

وقال رجال البوليس:

ـ وهل سمح لكم زميلكم هذا بكسر الباب؟

ولبرهة تسمر بافلوف ولم يستطع أن يرد ثم تمالك نفسه ليقول:

ـ كيف تجرؤ على التحدث معى بهذه اللهجة. كان لدينا مفتاح

للشقة إلا أننا فقدناه. وهذا القفل الذى كسرناه ملك للحكومة السوفييتية .

وأضاف فى صوت أجش :

ـ إنى آمركما بترك هذه الشقة.

ولكن رجلى البوليس لم يبارحا الشقة، بل أصرا على انتظار مفتش المباحث وطلبا من الأربعة إبراز هوياتهم الشخصية.. وأخيرا جاء مفتش المباحث «ماكدونالد» وبعد التحرى سمح للأربعة بالانصراف..

فى الرابعة صباحا سمعنا طرقا خفيفا على باب شقتنا وقبل أن نعرف الطارق كان قد ذهب.

## المنشق المتخفى

ويكمل السوفييتى المنشق :

وفى الصباح الباكر جاء إلى شقة السيدة اليوت حيث قضينا الليل مفتش مباحث آخر من بوليس مدينة أوتاوا، وأخطرنا بأن البوليس الكندى الملكى يود لقاءنا فى مبنى وزارة العدل. وتنفست زوجتى «آنا» الصعداء ..

ثم قالت لى:

ـ أخيرا يا إيجور وجدت من يعطيك أذنا صاغية.

كان استقبالى هذه المرة بمبنى وزارة العدل يختلف كثيرا عن سابقيه، فقد قوبلت هذه المرة بحفاوة. ولمدة خمس ساعات كاملة ظللت أجيب على أسئلتهم.

واهتموا كثيرا بالمستندات بعد أن استمعوا للترجمة.

وحين أبلغتهم بأن أحدا لم يصدقنى من قبل، أجاب الضابط الممثل للنائب العام:

ـ «لم نهمل موضوعك تماما كما خيل اليك . ثم لا تنس أننى وصديقى هنا قد جلسنا الساعات الطوال فى الحديقة المقابلة لشقتك نراقب نافذتك بصورة دائمة».

وحين عدت بزوجتى وابنى لوزارة العدل مرة ثانية، ظللنا لساعتين ننتظر، ويبدو أن وزارة العدل ووزارة الشئون الخارجية كانتا تفكران فيما يجب فعله طوال هاتين الساعتين.

لقد تمت استشارة « ماكينزى كنج» رئيس وزراء كندا، واستقر الرأى على وضعى تحت الميكروسكوب، والمراقبة اللصيقة لبضعة أيام حتى يتأكدوا مما إذا كنت منشقا حقيقة أم مجرد رجل مهووس يرعبه اللون الأحمر.

وأخيرا صدقونى، وبقيت مشكلة كيفية إخفائى وزوجتى وابنى خاصة وأن زوجتى كانت حبلى .. وخشيت أن يراقب من يطالب برقبتى مستشفيات الولادة فى أوتاوا .

ووجدنا الحل فى أن تمثل زوجتى دور بولندية مهاجرة برفقة زوج بولندى يتحدث بلغة إنجليزية ضعيفة ، واخذ دور الزوج أحد رجال البوليس الكنديين.

وفى إحدى مستشفيات الولادة خارج أوتاوا وضعت زوجتى طفلة، وبعد يومين من مولدها وقفت إحدى المرضات أمام سرير زوجتى وصاحت قائلة:

ـ هالوا... ألا تذكرينى؟ لقد أشرفت على ولادتك السابقة فى مدينة أوتاوا حين وضعت صبيا..

وأصرت زوجتى على أنها بولندية ولم تشهد اوتاوا فى حياتها، ولم تصدق الممرضة حتى جاء رجل البوليس الذى كان يقوم بدور الزوج .

وهنا دهشت الممرضة وأيقنت أنها لابد وأن تكون قد أخطأت .. وانتهى الموضوع بسلام..

وظللت لأكثر من عشرين عاماً متخفياً، وإن ظهرت كشاهد فى

أكثر من ٢٠ قضية تجسس[1] لادانة العملاء الكنديين الذين جاءت اسماءهم فى الدوسيهات والمستندات التى حملتها من السفارة فى يوم أربعاء ساخن مشبع بالرطوبة.

كنت أحضر هذه القضايا فى حراسة مشددة.

وبعد، مازلت أعيش فى كندا متخفيا وعلى أمل أن أستطيع فى يوم من الأيام الخروج إلى النور لأعايش الناس فى الطرقات وأشاركهم حياتهم الطبيعية أنا وأسرتى .. بلا خوف..

## جاسوسة على زوجى

استقر جوزينكو أخيراً مع أسرته فى مكان سرى وبأسماء مستعارة، وكان يظهر أحياناً على شاشات التلفزيون ليعلق على قضايا تجسس حدثت فيما بعد .

لكنه فى شتى الظروف كان يضع دائماً قناعاً حتى لا يتعرف احد على ملامحه، وألف كتابين عن التجسس اعتماداً على تجاربه التى عاشها .

---

(١) قيل إن عمليات تجميل أجريت لجوزينكو لتغيير معالم وجهه ، لكن لم يحدث هذا قط .. وفى جميع القضايا التجسسية التى شهد فيها أمام المحاكم الكندية ، كان لا يسمح بتصويره من الوجه .. حيث كان يستتر خلف حاجز .. أو يرتدى قناعا .. أو يظهر من الخلف حتى لا يتعرف عليه أحد ..

هـذا .. بينمـا رفضـت زوجتـه المخلصـة آنـا سـفيتلانا مجـرد الظهـور بالقنـاع على الشاشـات، كمـا رفضـت إغـراءات الناشـرين بكتابه قصة حياتها وهروبها .

وكانت تقول دائماً:

- «لقـد تـركـت فـى روسـيا أهلـى وأحبـائى، ولا أريـد أن أتسـبب لأحدهم فى أى ضرر إضافى أكثر مما سببته لهم من اضطهاد أعلم أنهم ذاقوا مرارته بلا جريرة..!!».

وبعـدما تعرفنـا علـى ملابسـات وتفاصـيل عمليـة الانشـقاق المثيرة حسـبما جاءت على لسان جوزينكو بنفسـه، يجـدر بنـا أن نلقى بعض الضوء على هذه الحادثة من زوايا أخرى.

فزوجـة جوزينكـو «آنـا سـفيتلانا» فجـرت مفاجـأة مـثيرة، عنـدما اعترفت فيما بعد أنها تلقت دورة تدريبيـة فـى موسـكو لتلقينها فنون التجسس .

كمـا كانـت مكلفـة بتوطيـد علاقتهـا بزوجـات الدبلوماسـيين الروس فى كندا، ومعرفة أسرار أزواجهن مـن خلالهـن، مـن حيـث آرائهـم حـول مـا يـدور فـى السـفارة، ومـا يروينـه مـن سـلبيات أو إيجابيات فى موسكو .

كذلك كان عليها استدراج أعضاء البعثة الدبلوماسية الروسية فى أوتاوا لأحاديث ودية شتى فى أثناء اللقاءات أو الاحتفالات العامة، فربما وقعت على أخبار مهمة.

لكن الذى لم تتوقعه الروسية العاشقة، أن يطلب منها بطرق ملتوية أن تكون جاسوسة على زوجها فى المنزل.(!!)

كيف..؟

هذا ما قالته آنا ساجى سفيتلانا فى حوارها الصحفى الجرئ الذى أجرته معها صحيفة كندية[1] بعد سنوات طويلة من انشقاقها مع زوجها. فماذا قالت..؟

## وتعاهدنا على الإخلاص

تقول آنا وقد غلف الحزن صوتها:

- «قبل أن يتقرر سفرنا إلى كندا بوقت طويل، كان يبدو أن هناك تقاريراً سرية تعد حولنا فى الخفاء، وهى من واقع معايشتى تتصل أولاً بالولاء للنظام الشيوعى والمبادئ الشيوعية التى كان علينا حفظها بما يشبه التقديس.

---

(١) رفضت آنا سيفتلانا نشر صورتها فى الحوار الصحفى، ولم توافق أيضاً على الظهور بقناع أو تصويرها من الخلف.!!

لذلك، ما إن أعلن عن قرار سفر جوزينكو للسفارة الروسية فى كندا كمسئول عن الشيفرة، حتى جاءنى استدعاء أمنى ، وعلى مدار عدة أيام شبه متصلة، أخضعت لدورة مكثفة فى فن إدارة الحوار واستجلاء الحقائق والاسرار من محدثى، وتم تدريبى فى أحد المكاتب الأمنية على أن أكون عيناً للاستخبارات الروسية فى الغربة على أعضاء البعثة من خلال زوجاتهم، ورقيبة أيضاً على تصرفات زوجى فى المنزل وما يتفوه به من ألفاظ قد تكون لها صلة بعمله السرى فى السفارة.

هكذا أرادوا أن يخلقوا منى جاسوسة على زوجى ، دون أن يدركوا حجم العواطف التى جمعتنا وتضمنا معاً .

فالمشاعر لا وزن لها فى عالم الاستخبارات ولا اعتراف بها، إنما العمل والولاء والإخلاص أمور أساسية تفوق أى صلة، وأى اعتبار.

طلبوا منى أيضاً خلال هذه الدورات التدريبية ألا أكتب تقارير دورية، إنما يكون ذلك فى حالة الضرورة القصوى فقط، دون أن أطلع زوجى على مهامى التى أقوم بها، أو شكوكى تجاه آخرين، أو تجاهه.

لذا فقد كان من الصعب على نفسى أن يعشش بعقلى هذا الأمر

الملعون، فأنا إذن مجرد امرأة غير مخلصة لزوجها، وهذا البيت الأسرى الدفئ يمكن هدمه بتقرير أكتبه عما يتفوه به زوجى، أو تجئ به عدة نكات ساخرة عن الحزب، أو تعليقات لا تعجبهم فى موسكو.

وبرغم علمى أن عالم الاستخبارات لا يضع وزناً لأى إنسان مهما كان، وأننى قد أقتل بلا رحمة إذا ما خالفت الأوامر والتعليمات، إلا أننى أخبرت جوزينكو بكل شئ، وقلت له فى صراحة مطلقة حقيقة ما دربونى عليه فى موسكو، وما طلبوه منى.

يومها، وكنا فى موسكو قبل سفرنا إلى كندا بأيام، ضمنى زوجى إلى صدره، وبرغم الاضطراب الذى عشش حولنا لبعض الوقت، إلا أنه أكد لى أن لا شئ سيفرقنا يوماً، سوى الموت. وتعاهدنا على الإخلاص والصراحة حتى لا يكون مصيرنا مأسوياً ذات يوم.»

# انتقاء العملاء

أما «برنارد نيومان[1]» فيقول :

ـ بعد أن سافر جوزينكو إلى كندا، وجد نفسه فى جو يشبه جوِ قصص الجاسوسية المثيرة، التى يبتكرها حيال الكُتاب. فقد كان الجناح الذى يعمل فيه بمبنى السفارة، مفصولاً عن باقى أجنحة المبنى بحواجز ونوافذ فولاذية. ولم يكن من المباح لأحد أن يدخل إلى تلك الأجنحة.

أما حراس الأبواب وخدم السفارة، فكانوا جميعاً من ضباط الجيش الأحمر.

ليس هذا فحسب، بل إن «جوزينكو» لم يلبث أن تبين أن رئيسه المباشر ـ وهو الكولونيل زابوتين، الذى يشغل منصب الملحق العسكرى ـ كان قد نظم شبكة واسعة للتجسس.

وبعدما هرب جوزينكو بالعديد من الوثائق، بادرت السلطات الكندية بتأليف لجنة تحقيق، وإذا بوثائق جزوينكو تكشف حقائق خطيرة ومذهلة.

---

(١) أسرار الجاسوسية ـ عن مطبوعات «كتابى» ترجمة ابراهيم موسى. المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

فقد ظهر أن الجناح المغلق بالحواجز الفولاذية، المحاط بالحراسة الشديدة فى السفارة الروسية، كان فى الواقع مركزاً عاماً لخمس منظمات للجاسوسية. تغلغلت فى مختلف ميادين النشاط فى كندا .

كما كان كل فرد فى السفارة يتجسس على زملائه. وكان زابوتين هو الذى نظم كل هذا بناء على الأوامر التى كانت تصدر إليه من موسكو مباشرة.

وكانت لزابوتين أيضاً شبكات خاصة مهمتها معرفة كل شئ عن أسرار القنبلة الذرية ومصانعها، وعن الجيوش التى ترسلها كندا والولايات المتحدة الأمريكية إلى أوروبا، وعن جهاز سرى لحرب الغواصات، وكذلك عن القنابل الإليكترونية وأنظمة الدفاع الكندية.

وكانت كل هذه المهام تتطلب حشد عدد كبير من الجواسيس، لذلك استخدم زابوتين وأعوانه وسائل تدل على خبرة باستغلال مواطن الضعف فى نفس الإنسان.

فكانوا يهتمون بالعلماء والموظفين الحكوميين فى كندا بشكل خاص، ويبحثون حال وظروف كل واحد ينتقونه بحثاً دقيقاً،

حتى أنهم كانوا يتحرون عن علاقاته برؤسائه المباشرين، وأحواله المالية، وأمانيه، وميوله، وموقفه إزاء سياسة بلاده، ومدى نفوذ زوجته عليه!

وكان رجال زابوتين من البراعة بحيث استدرجوا بعض السذج إلى شبكة الجاسوسية السوفييتية دون أن يفطن هؤلاء إلى ما كان يكمن وراء ذلك. فلما انتبهوا إلى ما تورطوا فيه، حاولوا أن ينسحبوا، ولكن فرصة الانسحاب كانت قد فاتت.

## زابوتين الرهيب

وفى الوقت الذى انشق فيه جوزينكو وهرب بالوثائق الهامة، كان زابوتين منهمكاً بمضاعفة أعوانه وأعضاء شبكاته. حتى أنه اقترح إيفاد بعثة تجارية روسية إلى كندا، ليتسلل معها عدد من الجواسيس الروس إلى البلاد بجوازات سفر دبلوماسية.

كل هذه الحقائق كما يقول «نيومان» اكتشفها لجنة التحقيق الكندية العليا، كما اكتشفت أيضاً أن الشيوعيين كانوا مكلفين بالسيطرة على أكبر عدد ممكن من الجمعيات والنقابات، بحيث لا يفطن أعضاؤها إلى أنها أصبحت تحت إشراف الشيوعيين.

وبهذه الأساليب الالتفافية استطاع الجواسيس الروس أن

يستغلوا أشخاصاً كان من المحتمل أن ينفروا من الاتصال بالشيوعيين إذا انتبهوا إلى حقيقتهم.

لقد اكتشف جوزينكو حقائق تفوق الوصف والخيال عن التجسس السوفييتى ضد الدول الصديقة، وصارح زوجته «آنا» بأنه فقد مصداقيته بالشيوعية بالشيوعية، وبالنظام القائم فى موسكو.

هى أيضاً كانت فى غاية الحنق والخوف.

الحنق على أساليب الخداع التى تنتهجها البعثات الدبلوماسية والتجارية الروسية فى الخارج .

والخوف على حياة زوجها وإبنهما، وحياتها أيضاً، من المؤامرات التى تحاك فى الخفاء حول كل من يطلع على معلومات سرية تفضح النظام الشيوعى إذا ما ظهرت لأى سبب على الملأ .

لقد أخبرها جوزينكو، كما أخبر السلطات الكندية فيما بعد، أن نظام شبكات التجسس الروسية فى كندا كان بسيطاً فى ظاهره، ولكنه كان فعالاً .

فقد كان فريق من الجواسيس المكلفين بمهمة واحدة، ينتظمون فى خلية لا يتصل بزابوتين منها سوى عضو واحد.

وكان هذا العضو ينقل التعليمات والأوامر إلى أعوانه ويتلقى منهم المعلومات، وكانوا جميعاً ينتحلون أسماء مستعارة.

بيد أن جوزينكو اكتشف، وساعد فى الكشف عن العديد من الجواسيس، رجالاً ونساءً، فى كندا وأمريكا وإنجلترا، «حوالى ٢٢ شخصا» .

وكان لقضية التجسس هذه ردود فعل واسعة فى أكثر من تسع دول أخرى.

## الوصية الأخيرة

كان من بين الجواسيس الذين سقطوا، كنموذج،فى قبضة السلطات الأمنية، الدكتور «آلان نن ماى» Alan Nunn May ، عالم الذرة البارع الذى اشترك فى التجارب الذرية الأولى فى كندا، وهو الشيوعى المتحمس الذى لم تقتصر المعلومات التى قدمها للروس على العمليات الفنية الخاصة بالقنبلة الذرية، بل إنه ذهب فى تحمسه إلى درجة تقديم عينات من مختلف أنواع اليورانيوم الذى كان يستخدم فى الأبحاث.

وبخلاف «نن ماى» كان هناك «كلاوس فوكس» Klaus Fuchs

وإيما رويكين[1] ، وايثيل روزنبرج وزوجها وشقيقته روث وزوجها ديفيد جرين جلاس، وهارى جولد وآخرين، وكلها توابع هامة لقصة هروب جوزينكو وانشقاقه، أظهرت الوجه القذر الذى تختفى الشيوعية من ورائه.

هذا، وقد حنقت استخبارات جوزيف ستالين فى موسكو على إيجور جوزينكو أشد الحنق، وحاولت بشتى الطرق أن تضع يدها عليه ويكون انتقامها منه رادعاً لكل روسى آخر قد يفكر فى الانشقاق.

لكن الحكومة الكندية التى كانت تعرف نوايا الروس ، أحاطت جوزينكو وزوجته آنا بحراسة شديدة، وأخفتهما بعيداً عن الأعين ليكونا فى مأمن من الانتقام.

وفى أخريات حياته، أصيب جوزينكو بمرض فى عينيه وفقد بصره، فتاعظم شعوره بالقتامة، ومات فى الثالثة والستين من

---

(١) إيما رويكين : كانت عميلة للسوفييت فى قسم الشيفرة بوزارة الخارجية الكندية، ومررت وثائق تحوى معلومات هامة وخطيرة إلى موسكو تتصل باستراتيجية الدولة وسياستها الخارجية بشكل عام، وعندما كشفها جوزينكو تم التحقيق معها ومواجهتها بالأدلة الدامغة، فاعترفت بأنها كانت بحاجة للنقود، ودفعها إيمانها بالشيوعية إلى أن تعمل مع الروس، حيث كانت تسلمهم الأسرار التى تحصل عليها أولاً بأول عن طريق وضعها فى سيفون حمام طبيب أسنانها عندما تكون على موعد دورى مع الطبيب، وكان يمر فيما بعد سائق العقيد نيكولاى زابوتين فيأخذها إلى رئيسه. هذا وقد حكم على إيما بالسجن لمدة ٣٠ شهراً بعدما أعلنت امام المحكمة ندمها الشديد ، ورغبتها فى أن تتجاوز هذه المحنة!!

عمره فى يونيو سنة ١٩٨٢.

أما «آنا سفيتلانا» ، فقد أشقتها صدمة فقدانها لشريك العمر، وحبست نفسها فى منزلها بتورنتو لا تكاد تخرج منه إلا لماما ، حتى خشى ولديها من إصابتها بالعمى لكثرة البكاء المتواصل الذى كان لا يتوقف إلا ليبدأ من جديد .

وبعد رحلة حب وإخلاص وصدق ومؤازرة، ماتت هى الأخرى عام ١٩٨٥، ومشى فى جنازتها عدد قليل من الجيران والأصدقاء، ودفنت فى مقبرة سرية بعد عدة أيام من وفاتها، ثم تقدم ولديها بطلب رسمى إلى السفارة الروسية فى كندا بالسماح بدفنها فى موسكو، لكن طلبهما رفض، وتبين أنها كانت قبل وفاتها قد أوصتهما ، بالسعى لدفنها هى وجوزينكو فى روسيا، وأن يلحا فى ذلك...!!

هكذا انتهت حياة آنا ساجى المليئة بالإخلاص والحب والوفاء .. وتركت لنا عبر صفحات التاريخ أروع الأمثلة لامرأة عشقت زوجها حتى النهاية ..!!

# ايثيل روزنبرج



**أمريكية يهودية دفعتها عاطفتها نحو الشيوعية إلى تجنيد زوجها وشقيقها وزوجته للعمل لصالح السوفييت، حيث أمكن للروس بفضل مساعداتهم إنتاج القنبلة الذرية فى زمن قياسى. وبرغم الحكم عليها بالإعدام بواسطة الكرسى الكهربائى، استقبلت الحكم بالغناء .. ودخلت حجرة الإعدام فى جرأة غير معهودة ...!!**

# خريطة سانتا

بعد هروب إيجور جوزينكو وتكشف العديد من العملاء السوفييت فى كندا، أصيب المجتمع الغربى بصدمة عنيفة، صدمة أفقدت الغرب اتزانه كما يقولون ، نظرا لخطورة الأسرار التى أعلنها السوفييتى المنشق حول التجسس ضد كندا وأمريكا وبريطانيا .

وفى الحال نشطت أجهزة الاستخبارات فى الولايات المتحدة فى اقتفاء أثر العديد ممن يؤمنون بالمبادئ الشيوعية، خاصة هؤلاء الذين يعملون فى مناصب حساسة ومواقع استراتيجية .

كذلك أخضع أعضاء البعثة السوفييتية فى أمريكا للمراقبة، سواء فى السفارات السوفييتية بواشنطن، أو القنصلية فى نيويورك. كذلك أعضاء بعثة الأمم المتحدة والمراكز التجارية والثقافية.

وكان من ضمن هؤلاء «أناتولى ياكوفليف» نائب القنصل السوفييتى فى نيويورك، الذى أسفرت مراقبته عن لقائه بالأمريكى الشيوعى «هارى جولد» فى يناير ١٩٤٦ ثم انقطاع اللقاءات بينهما بعد ذلك.

ولعدم وجود دليل إدانة يؤخذ ضده ، ظل الأمر يشكل علامة استفهام محيرة.

هذا .. فى الوقت الذى خلصت فيه التحليلات الاستخبارية الأمريكية، إلى وجود ثلاث خلايا تجسس سوفييتية تعمل للحصول على أسرار مشروع القنبلة الذرية وما يتصل به من أجهزة تكنولوجية معقدة وأبحاث كثيرة.

كان هارى جولد يعمل فى إحدى هذه الخلايا كجاسوس وسيط، ولكن، لم يكن هناك ما يدينه بشكل ثبوتى مؤكد وقانونى.

وفى خلال هذا الوقت، قامت «إليزابيث بنتلى» وهى شيوعية أمريكية، بإبلاغ الاستخبارات الأمريكية بأنها كانت تعمل كمساعدة لرئيس مجموعة من الخلايا التابعة للروس، من بينها تلك الخلية التى قامت بسرقة تكنولوجيا الرادارات ولم تكن تعرف أعضاءها .

والمهم ، أنها ذكرت أن رئيسها اتصل ذات مرة أمامها بأحد أعضاء الخلية، وهو رجل يدعى «جوليوس» . ودار بينهما حديث طويل لم تنتبه له .

بيد أن الجاسوس السوفييتى «كلاوس فوكس» [1] الذى ألقى القبض عليه فى فبراير سنة ١٩٥٠، فى لندن، فشل فى معرفة الاسم الحقيقى للرسول الذى كان يجيئه من الولايات المتحدة ، وهو الذى كان يسمى نفسه «ريموند» Rimond كاسم مستعار، كما أن « فوكس » جاسوس الذرة لم يكن دقيق الوصف لملامحه، وفشل فى التعرف عليه من بين الصور العديدة التى عرضت عليه من خلال رجال الأمن.

لكن ، حصر رجال الاستخبارات الأمريكية شبهتهم فى«شخص واحد» من بين ١٥٠٠ مشتبه فيهم، وهو «هارى جولد» .

وأخيراً ألقوا القبض عليه ووجهوا إليه تهمة التجسس بسبب غلطة واحدة ارتكبها، وهى أنه لم يتلف خريطة رآها معه كلاوس فوكس عندما ذهب جولد لمقابلته ذات مرة فى مدينة Santa Fe الأمريكية.

---

(١) كلاوس فوكس: أحد أهم جواسيس الذرة الذين عملوا لصالح السوفييت وسربوا إليهم أسرار القنبلة الذرية، وهو شيوعى ألمانى هرب من جور النازية إلى لندن، ثم أرسل للعمل فى مشروع مانهاتن بالولايات المتحدة المخصص لصناعة القنبلة الذرية فى نيومكسيكو، وأصبح بعد ذلك رئيساً لقسم الفيزياء النظرية فى مركز الأبحاث الذرى البريطانى فى هارويل. وتمكن من خلال عمله من إمداد السوفييت بأخطر الأسرار بداية من عام ١٩٤١ وحتى عام ١٩٥٠ ، عندما افتضح أمره وفتها وقدم إلى المحاكمة التى قضت معاقبته بالسجن ١٦ عاماً ، لكنه خرج لحسن السلوك فى ١٩٥٩ ، ثم هاجر إلى ألمانيا الشرقية وعمل فى معهد الفيزياء النووية حتى تقاعد سنة ١٩٧٩ ومات عام ١٩٨٨ .

لم يتعرف فوكس على هارى جولد إلا بعض القبض على هذا الأخير واعترافه[1] ، وقد أمكن التعرف عليه من خلال فيلم سينمائى اخذ له عرض على فوكس .

وأدى اعتراف جولد[2] إلى كشف اليهودى الامريكى الشيوعى النزعة «ديفيد جرين جلاس» الذى يعمل بالمشروع الذرى الأمريكى، مشروع مانهاتن «لوس الاموس[3]» ، فى نيومكسيكو،

---

(١) أ.هـ . كوكريدج: أغرب جاسوسية فى التاريخ، ترجمة وديع سعيد، دار الكتاب العربى - بيروت، بدون تاريخ إصدار.

(٢) حكم على العميل الروسى «هارى جولد» الذى اشتهر كوديا باسم «ريموند» بالسجن ٣٠ عاماً ، بعدما ثبت من الأدلة أنه كان صلة الوصل فى عمليات التجسس بين فوكس وروزنبرج، وأطلق سراحه بعد أربعة عشر عاماً (سنة ١٩٦٥) لحسن السلوك. ومات فى فيلادفيا فى ١٩٧٢ منبوذاً يتوجه العار..!!

(٣) لوس آلاموس: قرية من قرى الهنود الحمر فى نيومكسيكو، كانت بعيدة ومنعزلة وبها جبل يرتفع على سطح البحر ٧٠٠ قدم اقيمت على رأسه مدرسة اتخذت مقراً فى مارس ١٩٤٣ لعلماء الذرة، ثم بدأ يقام أكبر معمل علمى فى الولايات المتحدة، وكان الناس هناك يتساءلون عن نشاط العلماء فوق قمة الجبل حيث منع الاقتراب من المنطقة، وترددت أقاويل تروج بأن هناك علماء فى الفلك يرصدون النجوم والقمر، لكن هؤلاء العلماء الذين كان يقودهم أوبنهيمر، تمكنوا من إنتاج القنبلة الذرية الأولى، فنبلة «هيروشيما» التى ملأت سمع الناس فى السادس من أغسطس = = سنة ١٩٤٥ عندما ألقاها الكولونيل طيار «تيبتس» الأمريكى على اليابان فاستسلمت فى ١١ أغسطس سنة ١٩٤٥. أما أوبنهيمر رجل الذرة المشهور، فقد ولد فى نيويورك سنة ١٩٠٤ من أبوين يهوديين، وتعلم بجامعة هارفارد الأمريكية، ثم جامعة كمبردج بانجلترا، فجامعة جوتنجن بألمانيا. ومن هذه الأخيرة نال درجة الدكتوراه، ثم عادا إلى أمريكا ليبحث فى طبيعة المادة والكهرباء والإشعاع. وفى سنة ١٩٤٧ عين مديراً لمعهد الدراسات العليا بجامعة برنستن حيث كان يعمل اينشتين.

المثير أن حركة التطهير التى كانت تقاوم الشيوعية فى الولايات المتحدة ، استجوبت أوبنهيمر حول آرائه فى الشيوعية، ثم جرى وقفة عن القيام بأى أعمال تتصل بالذرة حيث أن اللجنة «لا تطمئن إلى بعض آرائه، وأنه لم يتحمس لصنع =

فقاد بدوره إلى صديقه الشيوعى المتحمس «مورتن سويل» المختص بالأسلحة الذرية وبالتفجير القريب من الهدف، وإلى شقيقته «ايثيل» وزوجها «جوليوس روزنبرج» .

## الإخلاص حتى الموت

بشكل وبائى، اعتمدت الاستخبارات الروسية منذ القدم على نظام «الفهرس» ، وهو نظام دقيق مرن يعد أسلوباً فريداً فى حد ذاته .

إذ يضم عشرات الآلاف من الأسماء فى الداخل والخارج، ممن التحقوا بالحزب الشيوعى ، حيث كان يطلب من الأعضاء أو المتقدمين لشغل الوظائف أن يكتبوا تاريخ حياتهم كاملاً.

وقد اخذ الشيوعيين هذا النظام من المحللين النفسيين، حتى أننا نجد ربما نندهش ونحن نقرأ عبارة: «دعه يكتب سيرة حياته كاملة» تتكرر فى الأوامر الصادرة من موسكو إلى عملائها فى كل مكان.

وموسكو لا تكتفى بطلب تاريخ الشخص الذى يكون لها معه شأن، بل تطلب أيضاً معلومات عن أقاربه وزملائه فى العمل

---

= القنبلة الهيدروجينية، وقد تبين أن من بين أصدقائه شيوعيين توثقت علاقته بهم بشكل ملفت ومثير» ..!!

وجيرانه وأصدقائه، ويمتد هذا الجنون لجمع المعلومات الشخصية إلى البحث عن الأدلة، وكتب المراجع من كل نوع، بل إن ما يقال عن الشخص من آراء يجمع وبدون عناية[1].

وهذه المعلومات ، هى المواد الخام التى تغذى سنة بعد أخرى مجموعة من الملفات الشخصية فى العالم.

ويرجع منشأ الفهرس الروسى إلى النظام القيصرى، ثم تضخم الفهرس حتى خصص له فيما بعد بناء ضخم على ناحية شارعى «ماشوفيا أولتيزا» و «فيشنكا» .

وقد جاوز الفهرس غرضه الأصلى من تسجيل البيانات عن الشيوعيين وموظفى الدولة السوفييتية وبضعة آلاف من الدبلوماسيين الأجانب ورجال السياسة ذوى الشأن والنقابيين، ويسجل أيضاً البيانات الخاصة بمكان الميلاد وتاريخه والوالدين والأسرة ومحل الإقامة والمهنة.

وقد تشمل البيانات أسماء المدرسين وزملاء الدراسة، والأقارب، والأصدقاء أو الصديقات، وزملاء العمل، بالإضافة إلى تسجيلات للمكالمات التليفونية، وصور وتقارير عن أحاديثه وملاحظاته مهما كانت تافهة. فقد تصبح ذات يوم أدلة اتهام أو وسيلة سيطرة

---

(١) أ.هـ . كوكريدج : «مصدر سبق ذكره» .

ناجحة.

لقد استخدم الفهرس داخل روسيا كسلاح إرهاب، حيث يبقى الرجال والنساء فى حالة يساورهم فيها الخوف الدائم. أما خارج روسيا فكان الغرض من الفهرس هو المعاونة على اختيار العملاء الذين يقومون بالتجسس والتدمير.

وثمة غرض ثالث واضح، وهو التهديد إذا كان يسجل فى هذا الفهرس اسم أى شخص له قيمة سبق له أن اتصل بمنظمة شيوعية، ويمكن اعتباره لهذا الغرض ممن يعطفون على الشيوعية ولو من بعيد.

ونجح الفهرس نجاحاً كبيراً فى حالة العريف «ديفيد جرين جلاس» الفنى بمشروع «مانهاتن» ، وهو الاسم الرمزى للمصنع الذرى فى «أول ريدج» بولاية تنيسى.

قضى جرين جلاس بعض الوقت فى تنيسى، ثم ارسل بعدئذ إلى «لوس آلاموس» ، حيث كانت تدابير الأمن من الدقة بحيث انه لم يكن يدرى فيما تستعمل أجزاء الآلات التى ظل بضعة أسابيع يصنعها نقلاً عن رسوم هندسية يعدها له الخبراء.

إلا أن الاستخبارات السوفييتية كانت تعلم تمام العلم، أن لوس ألاموس مشغولة بأبحاث سرية لتصنيع القنبلة الذرية، وقد لاح

الأمل أخيراً فى تسرب عميل للسوفييت إلى المشروع السرى بعيداً جداً بفضل تدابير الأمن الصارمة التى كانت تفوق الوصف من حيث الدقة والضبط .

لكن بالبحث فى «الفهرس» ، تم التوصل إلى الأمريكى «ديفيد جرين جلاس» ، حيث أتضح انه كان شيوعياً متعصباً فى وقت ما من أيام شبابه، ثم أقلع عن مبادئه الشيوعية فيما بعد. وأظهرت التحليلات التى كتبت عنه فى الفهرس أنه كان فتى يهودياً سلس القيادة، من السهل التأثير عليه، وأن أكثر الناس تأثيراً عليه أخته «ايثيل جرين جلاس» ثم زوجته «روث» التى كان يناديها أحياناً بـ «روز» .

ومن خلال البيانات التى ضمها الفهرس أيضاً، تبين أن أخته ايثيل المولودة سنة ١٩١٦ كانت قد تزوجت سنة ١٩٣٦ من المهندس اليهودى الأمريكى «جاكوب جوليوس روزنبرج» المتخصص فى الهندسة الكهربائية ، وهو شيوعى غيور متعصب ، سبق له أن حصل على معلومات تتصل بالرادار لها شأنها. وكان من الضرورى جداً أن ايثيل تستخدم تأثيرها على شقيقها ديفيد وزوجته روث جرين جلاس.

لذلك، تم تكليف ضابط الاستخبارات السوفييتى «باكو فليف» مساعد القنصل فى نيويورك بالاتصال بإيثيل روزنبرج وزوجها،

لإيقاظ مبادئهما الشيوعية من جديد، وكسب تأييدهما فى مسألة حصول موسكو على مساعدات فنية سرية كانت فى مسيس الحاجة عليها، من خلال التأثير على ديفيد جرين جلاس وزوجته «روث» ، وهو ما حدث بالفعل.

ولعل ما يجدر أن نذكره، ان لا ايثيل ولا جوليوس روزنبرج، كانا يعلمان أول الأمر أن ديفيد يشتغل فى أعمال تتصل بالقنبلة الذرية، ولم يكن ديفيد أيضاً يدرك العمل الذى يقوم به، إلى أن أخبره آل روزنبرج بحقيقة الأمر.

بل لعله، وهو لم يكن من العلماء، ما كان يدرك تماماً أهمية ما كان يفعل بالضبط.

إلا أن الفهرس السوفييتى كان يعرف كل شئ عن هذا المشروع السرى. وكذلك كانت هذه المعلومات التى بدت لأول وهلة تافهة عن شيوعى شاب، والتى حفظت فى ملف خاص به منذ سنوات، كانت هى المفتاح الذى فتح مغاليق أعظم أسرار العالم ، تلك التى أحاطها المسئولون الأمريكان بسياج قوى من الكتمان، وأقاموا عليها حراسة شديدة.

لكن وقبل كل شئ، علينا أن نتعرف أولاً على اليهودية الأمريكية «ايثيل جرين جلاس» ، وكيف أخلصت للروس حتى الموت.

## الأصدقاء الروس

ولدت ايثيل بالولايات المتحدة سنة ١٩١٦ ، وتربت تربية يهودية خاصة تقوم على اعتناق مبادئ تتصل إلى حد كبير بالشيوعية .

وفى مرحلة شبابها قرأت كثيراً عن الشيوعية وتعاطفت معها، وانقلب هذا العطف إلى ولاء للسوفييت، توجته بالانضمام إلى الخلايا والتنظيمات الشيوعية فى أمريكا، وقادت الكثيرين ممن كانت على علاقة بهم إلى الاهتمام بمبادئ الشيوعية، وكان من بينهم شقيقها «ديفيد» ، وصديقها «جوليوس روزنبرج» وهو يهودى أيضاً وكان والده مهاجر روسى سابق .

وباقترانها فيما بعد بصديقها هذا، تحول اسمها إلى «ايثيل روزنبرج» ، بينما تزوج شقيقها ديفيد من «روث» شقيقة جوليوس.

كان ديفيد جلاس وزوجته ، كما تقول التقارير الأمنية عنهما، تحت شبهة التعاطف مع الشيوعيين، وكان ديفيد يعمل فى إحدى المؤسسات الصناعية فى بروكلين مع جوليوس روزنبرج الذى سبق أن طرد من مؤسسة صناعية أخرى بعد خدمة

استمرت لخمس سنوات بسبب انتمائه لمنظمة غير شرعية فى أمريكا، وهى الحزب الشيوعى.

اعتقل ديفيد جلاس فى يونيو ١٩٥٠ عندما أرشد عنه الجاسوس الوسيط «هارى جولد» .

وأثناء التحقيق معه اعترف بأنه لم يسلم المعلومات لهارى جولد فقط، بل أعطى وثائق ورسوم عن القنبلة الذرية لزوج أخته جوليوس روزنبرج فى نيويورك على دفعتين خلال عام ١٩٤٥، وقال إن أخته ايثيل أخبرته بأن هذه الوثائق ستذهب إلى أصدقائهم الروس.

اعترف ديفيد جلاس أيضاً أن جوليوس روزنبرج بعد القبض على هارى جولد، نصحه بأن يهرب إلى المكسيك هو وروث، حيث لا يمكن الوصول إليه هناك، وكان هذا الاقتراح أيضاً يوافق مزاج ايثيل روزنبرج التى كانت فى حالة نفسية سيئة، حيث أخبرته أن زميلهم فى الشبكة، وهو «مورتون سوبل» قد هرب إلى المكسيك على وجه السرعة.

لكن .. كيف التقى العميل السوفييتى هارى جولد وديفيد جرين جلاس لأول مرة..؟

# لا أمان لليهود

يقول محمد المشرف خليفة[1] :

ـ جند هارى جولد ليكون حلقة اتصال بين الدبلوماسى الروسى ياكو فليف ومجموعة من العلماء فى الولايات المتحدة كانت تتعاون مع السوفييت إما لتعاطفهم أو بمقابل. وكان أهم هؤلاء العلماء: «كلاوس فوكس» .

كان جولد يعلم بخطورة مهمته، حيث كان يقوم كل مدة برحلة واحدة يتصل فيها بعميلين ويتلقى منهما معلومات ذات أهمية قصوى للسوفييت.

وكانت رحلة جولد غالباً إلى «لوس ألاموس» حيث كان يلتقى بالعالم الذرى كلاوس فوكس، وبضابط الصف الفنى العسكرى ديفيد جرين جلاس، الذى كان يقوم بعمل نماذج أولية وتخطيطات لشكل القنبلة الذرية!

لكن جاء فى ملف جواسيس العالم[2] .

فى ذلك الوقت كان هوس الخوف من الشيوعيين والشيوعية

---

(١) أشهر الجواسيس . مكتبة مدبولى بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩١.
(٢) مرجع سبق ذكره

يسيطر على الأمة الأمريكيـة، وقـد قامـت موجـة مـن الهيسـتيريا بعد تقديم إيجور جوزنكو للمعلومات التى ادت لكشف الجواسـيس ومحـاكمتهم، وكـان رأس الحربـة ضـد الشـيوعيين لجنـة الشـيوخ الخاصـة بالفعاليـات المضـادة للأمـريكيين والتـى قادهـا فيمـا بعـد جوزيف ماك كارثى الرهيب .

وكان ماك كارثى يشتبه بالحُمر فى كل مكـان وفـى كـل مهنـة، وخاصـة فـى هوليـوود، وكـانوا يُعتقلـون لأتفـه الأسـباب والأدلـة، وكانت حكمته حيال الحمر أنه من الأفضل أن تكون ميتـاً علـى أن تكون أحمراً، والويل لمن لا يستطيع أن يجيب على السؤال الشهير:

ـ هل أنت شيوعى أم هل كنت شيوعياً فى الماضى؟.

وكان جون أدجمار هوفر أقـل شهرة مـن مـاك كـارثى فـى هـذا المجال، ولكن مثله فى الخطورة.

فالمـدير القـوى الطمـوح لمكتـب التحقيقـات الفيـدرالى FBI شـن الحرب الطويلـة القاسـية علـى المتعـاطفين مـع الشـيوعيين بـدون رحمة، ومتى وقع الاحمر بين يديه فلا يسـتطيع أن يخفـف الأمـر عن نفسه إلا بكشف المزيد من رفاقه.

وبعد أن كشف جوزنكو مـدير شـبكة التجسـس فـى نيويـورك أناتولى ياكوفليف استطاع رجال هوفر اعتقال مراسـلته أليزابيـث

بنتلى وأقنعوها للعمل لحسابهم.

ومن خلال تعاونها معهم ورد اسم ريموند (هارى جولد) وتم استجوابه ولم يثبت عليه شئ، ولكن بعد ثلاثة سنوات فى ٢٣ أيار ١٩٥٠ تم اعتقاله فى فيلاديفيا بعد أن ظهرت علاقته بكلاوس فوكس.

ولم يخفى جولد عندئذ أنه تجسس لحساب الروس منذ الثلاثينيات، وبدأ يكشف أسماء زملائه فى الشبكة على أمل أن يؤدى تعاونه لتخفيف العقاب عنه.

وقد صرح أنه عندما ذهب إلى نيومكسيكو ليقابل فوكس فى يونيو ١٩٤٥، اتصل أيضاً بعسكرى أمريكى يعمل فى قاعدة لوس آلاموس، وللتعارف كان العسكرى يحمل نصف غطاء علبة (جيلو) ممزقة بينما حمل جولد النصف الآخر الذى يوافقه وقد أعطاه إياه ياكوفليف فى نيويورك.

يومها كانت كلمة السر (جوليوس أرسلنى) . وعندئذ سلمه العسكرى وثائقه عن صاعق تفجير القنبلة الذرية ، التى أخبر كلاوس فوكس الروس عنها وتقاضى مقابل ذلك مبلغ ٥٠٠ دولار، وتمكن هارى جولد من تحديد هوية العسكرى من خلال الصور التى عرضت عليه، حيث أمكنه التعرف على ديفيد جرين جلاس وزوجته روث.

وفى اليوم التالى من إلقاء القبض على ديفيد، اعتقل جوليوس روزنبرج فى مقر عمله ، واعتقلت زوجته ايثيل بعد ستة أيام . وفى ١٨ أغسطس ١٩٥٠ قبض على مورتون سوبل فى لاريدو Laredo الواقعة على الحدود المكسيكية الأمريكية، وقيل أن الاستخبارات الأمريكية قامت باختطافه من المكسيك ليقدم إلى القضاء الأمريكى.

فماذا قالت ايثيل روزنبرج فى التحقيق المبدئى الذى أجرى معها..؟

## الصفقة

تحدثت ايثيل كثيراً عن نشأتها كيهودية أمريكية تأثرت بما جرى لليهود فى ألمانيا على يد هتلر، لذلك كانت تتجه بعاطفتها إلى موسكو، وكان هذا التعاطف وليد نزعتها الثقافية التى تعملقت بداخلها، حيث رأت أن الروس بحاجة لمساعدتها هى وأمثالها من أجل التقدم والازدهار والتطور العلمى والاقتصادى وفى شتى المجالات.

وهى لذلك كانت حريصة على تقديم كل عون لهم دون أن تفكر فيما سيسببه ذلك من ضرر لوطنها.

قالت أيضاً إن حبها الجارف لزوجها جوليوس روزنبرج ، كان

بسبب توافقه فى النزعة الثقافية معها، حيث قربت العاطفة بين الاتجاهات التى تأثرا بها. حتى أنهما اتفقا معاً على الوقوف بقوة إلى جانب الروس، وعدم البخل عليهم بأية معلومات من أى نوع، قد تقودهم إلى التقدم بين الأمم .

مؤكدة على أن نزعة جوليوس الشيوعية وانخراطه معها فى الحزب الشيوعى، كانت سببا رئيسياً فى امتزاجهما عاطفياً حتى قررا الارتباط الأبدى بالزواج .

هكذا سقطت ايثيل روزنبرج وجوليوس فى حبائل الجاسوسية بسبب الأيدولوجية التى آمنا بها.

ووجهت إليهما تهمة الخيانة والتجسس لصالح دولة أجنبية ، بالاشتراك مع «مورتون سوبل» والدبلوماسى الروسى « ياكو فليف» الذى طرد من واشنطن . واعترف هارى جولد وديفيد جرين جلاس بجريمة التجسس وأعرب كل منهما عن ندمهما عن ذلك بلغة مؤثرة.

أما روث جرين جلاس فلم يتم اتهامها برغم أن زوجها صرح بأن روزنبرج أرسلها إلى قاعدة لوس ألاموس لإقناعها بالتجسس، وقد توضح سبب استثنائها بعد سنوات عندما سمحت وكالة التحقيقات الفدرالية بنشر بعض وثائق القضية، حيث تبين أن المدعى العام «أو . جون روج» قد عقد اتفاقاً مع ديفيد جرين

جلاس بأن يستثنى زوجته من الاتهام إذا شهد ضد روزنبرج زوج أخته ، وقد وافقت السلطات على ذلك لأنها كانت بحاجة لأدلة قوية الإدانة روزنبرج.

فى تلك المرحلة لم تتضمن اعترافات جرين جلاس أى اتهام لإيثل روزنبرج ولكن غير آل جرين جلاس أقوالهما فيما بعد وادعيا أن المعلومات التى سلماها لروزنبرج قامت زوجته بطباعتها لكى تسلم للروس.

وقد تبين أهمية ذلك فيما بعد عندما كشفت رسالة من جون ادجار هوفر إلى المدعى العام هوارد ماك جراث تقول:

- «لا شك بأن روزنبرج إذا قدم تفاصيل فعاليته التجسسية النشطة، لأمكن أن تكشف جواسيس آخرين، ونثبت بذلك التهمة عليهم، وأن توجيهه الاتهام لزوجته ايثيل قد يحقق هذا الهدف ويدفعه للاعتراف».

## قشتان فى مهب الريح

وكان مكتب التحقيقات الفدرالى قد اعترض رسالة بالراديو من السفارة الروسية تفيد أن زوجين يشكلان فريق تجسس فى نيويورك، وقد أقنعتهم التحريات عن جوليوس روزنبرج بأنه

عنصر هام فى حلقة تجسس روسية.

وبرغم اعتراف الزوجان جرين جلاس أنهما شيوعيان متعصبان منذ سن الشباب، فإن المحققين سمحوا لهما بالتقدم للمحكمة بقضيتهما عن الإغراءات الكثيرة التى قدمها روزنبرج لتوريطهما بالتجسس.

وكان لدى الإدعاء العام شاهد آخر غير جرين جلاس وجولد وبنتلى وهو جيروم يوجين تارتاكو، ذلك الذى عقد صداقة مع روزنبرج أثناء لعبهما للشطرنج فى مركز الاحتجاز قبل المحاكمة بنيويورك.

كان تارتاكو شيوعياً معروفاً، وقد ادعى أن جوليوس روزنبرج باح له بأنه عميل للروس، وأنه قد أنذر بعض أصدقائه ليهربوا عندما عرف «أنه قد خسر اللعبة» . ويبدو أن روزنبرج أحب صديقه الشاب الذى حكم عليه بالسجن سنتين لسرقته العديد من السيارات، وقد سعى له بالعمل كسائق عند محاميه بعد إطلاق سراحه، ولم يدرك إلا بعد فوات الأوان أن صديقه تارتاكو كان مخبراً لمكتب التحقيقات الفدرالى.

وعندما بدأت جلسات محاكمة جرين جلاس وجولد وسوبل وآل روزنبرج فى السادس من مارس عام ١٩٥١، أوضح القاضى

إرفينج كامجمان أنه يرحب بأية أدلة عن علاقة المتهمين بالشيوعيين، برغم احتجاج الدفاع بأن هذه العلاقة لا تدل بالضرورة على التجسس.

وأعاد كل من جرين جلاس وجولد شهادتهما عن كيفية تسرب أسرار القنبلة الذرية الأمريكية إلى السوفييت.

وشهدت أليزابيت بنتلى بتلقيها مكالمات هاتفية بهذا الخصوص من رجل سمى نفسه جوليوس، وهو مهندس وخبير إلكترونى، كما اعترف ماك أليتشر بقيامه بدور حامل الرسائل بين سوبل وروزنبرج.

وعندما جاء جوليوس روزنبرج، نفى أية علاقة له بالتجسس، وعندما سُئِل عما إذا كان شيوعيًا رفض الإجابة «على أساس أن الجواب قد يُجَرِمَنى» كما قال، ولكنه أقرّ بأعجابه بالمنجزات الروسية وأضاف:

ـ «لقد شعرت ولا زلت أشعر أن الروس شاركوا بشكل رئيسى فى تتدمير الوحش هتلر[1] الذى قتل الملايين من إخوتى اليهود،

---

(١) فى ٢٠ أبريل ١٨٨٩ ولد هتلر فى برناو بالنمسا، وفى ٨ نوفمبر ١٩٢٢ فشل محاولة انقلاب مسلح قام بها فى ميونخ، وفى ٣٠ يناير ١٩٣٣ نصب هتلر مستشاراً لألمانيا، وفى سبتمبر ١٩٣٩ هتلر يعلن الحرب على العالم لتبدأ أحداث الحرب العالمية الثانية، وفى ٣٠ أبريل ١٩٤٥ ينتحر هتلر بالرصاص فى مخبأه ببرلين بينما عشيقته بالسم. =

وأنا أشعر بالامتنان لهم».

كذلك أيضاً أصرت زوجته إيثيل على إنكار أية علاقة لهما بالتجسس وامتنعت عن التعليق عندما سُئلت عن انتمائها الشيوعى.

وفى مرافعة محامى الدفاع عن الزوجين، الح على المحلفين أن يصدقوا قصة موكليه، وليس ادعاءات جرين جلاس الذى «تآمر مع الحكومة».

وأضاف المحامى[1]:

- «أن ديفد جرين جلاس مستعد لدفن أخته وزوجها لينجو بجلده من الجريمة فهو من الجواسيس المرتزقة الذين يفعلون أى شئ من أجل المال، وكل إنسان يشهد ضد لحمه ودمه. أخته، يكون بشعًا مثيراً للاشمئزاز ومعتدياً على كل الأخلاقيات والمثل العليا، وهو أحط من أحط الحيوانات» .

ولم يفد كل ذلك، فقد قرر المحلفون أن آل روزنبرج ومورتون سوبل مذنبين ، حيث تبين أن جوليوس روزنبرج نجح فى تهريب جهاز إلكترونى متقدم جداً إلى موسكو، ساعد على التعجيل

---

= لمزيد من التفاصيل أنظر كتابنا «قراءة جديدة فى مذكرات هتلر وانتحاره» ، عن دار الكتاب العربى، دمشق - القاهرة. الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م.

(١) هو المحامى النابغة المشهور: إيمانويل بلوش.

بانتهاء مشروعها الذرى.

وفى النهاية حكم على سوبل بالحد الأقصى للعقوبة ٣٠ عاماً سجن مع توصية بعدم اختصار المدة لحسن السلوك أما الزوجين روزنبرج فقد حكم عليهما بالموت.

وقال القاضى:

ـ «إن الله وحده يستطيع إيجاد المبررات للتسامح عما أقدمتم على فعله، بيد إنى اعتبر جريمتكما أسوأ من جرائم القتل، ففيها يقتل المجرم ضحيته فقط.

أما ما قمتما به من وضع أسرار القنبلة الذرية بيد الروس مما وفر عليهم سنوات طويلة من الأبحاث حتى يصلوا لنفس النتيجة، فقد أدى فى رأيى إلى تشجيع العدوان الشيوعى فى كوريا وما نتج عنه من وفيات تجاوزت الـ ٥٠٠٠٠، ومن يعلم فقد يدفع الملايين من الأبرياء ثمن خيانتكما. وفى الحقيقة فإن عملكما قد حوَّل وجه التاريخ إلى غير مصلحة بلادنا» .

وأخذ كل من الزوجين إلى زنزانة تحت قاعة المحكمة وهناك حدث ما أدهش السجانين وباقى المسجونين إذ أخذت إيثل تغنى مقطعاً من أوبرا السيدة الفراشة «سوف يعود فى يوم جميل» وبينما تعالى التصفيق طلب زوجها منها أن تغنى مقطعاً آخراً من

الأوبرا نفسها، وغنته إيثل، كذلك لبت طلبات السجناء الآخرين بأغان أخرى كان آخرها الأغنية المشهورة (معركة هيمن من أجل الجمهورية).

وقد قدم محامى الدفاع «بلوش» بالتماسات وقال لروزنبرج :

- «إنكما قشتان أطاحت بهما رياح السياسة».

وقد رفضت المحكمة كل جهوده.

## بكاء كما الأطفال

خلا لتلك الفترة أرسل كل من هارولد يوارى وألبرت أينشتين حاملا جائزة نوبل الشهيرين، برسائل إلى الصحف يعربان عن شكوكهما بنتيجة المحاكمة، وأن الخلافات بين عائلة روزنبرج وعائلة جرين جلاس كانت مسوغاً للحقد، وأنه من غير المعقول أن يسجن جرين جلاس ١٥ عاماً وجولد ٣٠ عاماً وقد اعترف بالتجسس صراحة، بينما يحكم على المتهمان اللذان أصرا على براءتهما بالموت بناء على شهادة أصحاب مصلحة فى توريطهما لإنقاذ أنفسهم.

وقد وصلت التماسات العفو عن آل روزنبرج للرئيس إيزنهاور

ثلاثة مرات.

وقال فى فبراير ١٩٥٣ بعد أن رفض إعادة المحاكمة .

ـ «لقد أدت أعمالهما لخيانة قضية الحرية التى يدافع عنها ويموت فى سبيلها الأحرار فى هذا الوقت بالذات» .

وقد قابل الرئيس فى ١٦ يونيو ١٩٥٣ مجموعة قساوسة يمثلون رهبان ٢٣٠٠ كنيسة، فرفض طلبهم لتعديل حكم الإعدام، وقال لإبنه جون الذى كان يخدم فى كوريا:

ـ «برغم أن عدم التدخل لإنقاذ حياة امرأة هو ضد مبادئى، تلك المبادئ التى حافظت عليها طوال حياتى، لكننى اعتبر أن إيثيل الشريك الأهم فى حلقة التجسس هذه، وإن تخفيف حكم الإعدام عنها وحدها سيجعل الروس يختارون جواسيسهم من بين النساء من الآن وصاعداً».

ووصل الاحتجاج على حكم الإعدام قمته فى يوم تنفيذ الحكم، وقد قال الرئيس قبل خمس ساعات من الوقت المحدد لاقتياد الزوجان للكرسى الكهربائى :

ـ «أنا لست متجاهلاً على الإطلاق لحقيقة أن هذه القضية ذات

أبعاد كثيرة، وقد سببت الكثير من الشكوك فى أمريكا وفى خارجها وفى عقول أشخاص محترمين. وكل ما أستطيع قوله هو أنه بازدياد احتمال حدوث حرب نووية بسبب ما قام به الزوجان روزنبرج، فقد يكونان سبباً فى موت عشرات الملايين من الأبرياء، فى كل العالم، وإن إعدام كائنين بشريين هو أمر محزن، ولكن ما يسبب الحزن هو التفكير بملايين من الذين قد يموتوا كنتيجة مباشرة لما فعل الجاسوسان».

وخلال سنتين من الجهود والالتماسات ظهرت أمال كثيرة، واختفت، ولكن الزوجين حافظا على روح معنوية عالية، وكانا يُعبران فى رسائلهما لبعضهما عن الحب الشديد والرفض الغاضب للتهمة وللحكم بالإعدام.

وكان مشهد زيارة طفليهما ميشيل وروبرت لهما مؤثراً، وكانت أعمارهما ثمانية وأربعة سنوات على الترتيب عندما صدر الحكم على الأبوين، وقد كتب روزنبرغ عن ذلك قائلاً أنه «إنهار وبكى كالطفل بسبب إحساس الأطفال الشديد بالحزن» بعد كل زيارة.

## المساومة الأخيرة

وأخيراً بعد أن رفض آخر التماس للمحكمة العليا بتصويت خمسة ضد أربعة من أعضائها، تم تحديد موعد الإعدام فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، ولما كان هذا التاريخ يوافق عيد زواج آل روزنبرج الرابع عشر فقد تم تأجيله ٢٤ ساعة.

وبقيت إمكانية واحدة لإيقاف الحكم كانت بمثابة الفرصة الأخيرة لهما، وقد عرضت عليهما بواسطة جيمس بينيت، وهو المدير الاتحادى لمكتب السجون بالنيابة عن المدعى العام هربرت براونل، فإذا وافقا على التعاون مع الحكومة وكشف كل ما لديهما من معلومات عن شبكة التجسس الروسية، فيمكن عندئذ تعديل الحكم بالإعدام.

عندئذ سألت إيثل بينيت إذا كان يريدها أن تعطيه أكاذيباً؟ أما جوليوس روزنبرج فقد علق على الاتفاق المعروف (تعاون معنا أو تموت)، بأنه يعيد إلى الأذهان أساليب غرف التعذيب الوحشية.

وقال:

ـ «عندما فاوضتنا الحكومة على أن نتنكر لحقيقة براءتنا، فإن ذلك يؤكد ضعف الأدلة المادية التى يملكونها، وبالتالى يثبت أنهم غير واثقين من كوننا مذنبين. ونحن بكل ما نملك من

عزيمة وإصرار، لن نساعدهم لتطهير سجلهم القذر من التقديرات الخاطئة والأحكام البربرية، وسيسجل التاريخ أننا كنا ضحايا أكثر المؤامرات وحشية فى تاريخ وطننا» .

وأبقى على خط هاتف خاص مفتوحاً إلى سجن سينغ سينغ حتى آخر لحظة للتدخل إذا غير أحدهما أو كلاهما رأيه. ولم يستخدمه أحد.

وكتبت إيثيل روزنبرج آخر رسائلها لأفراد أسرتها وأصدقاء العائلة، وقالت فى إحداها لأطفالها :

ـ «تذكرا دائماً يا أعز ما أملك أننا بريئين، ولم نفعل ما لا يرضاه ضميرنا، وأننا نعانقكما ونقبلكما بكل ما فينا من قوة ».

وكتبت ايثيل للمحامى أيمانويل بلوش الذى كُلف بالوصاية على الطفلين.

ـ «لقد فعلت كل ما وسعك من اجل إنقاذنا أيها الرجل الشهم، ونحن لسنا أول ضحايا للفاشية الأمريكية».

أخذ جوليوس أولاً إلى حجرة الإعدام، وظلت ابتسامة على شفتيه بينما كان يحدث بهدوء بعض الذين كانوا يقفون أمامه ولم يقل أية كلمة. وبينما كانت ايثيل تمشى إلى الكرسى الكهربائى حاول الحاخام الذى يرافقها إقناعها لآخر مرة قائلاً :

- «من أجل الأطفال الذين يحتاجون إليك يا سيدتى، من أجل أن تعود إليهما البسمة من جديد، ألا تستطيعين قول شئ قد ينقذك. هل يجب أن تتم هذه المأساة» .

فأجابته بهدوء :

- «ليس لدى ما أقوله. أنا جاهزة».

وكان عمرها ٣٧ سنة وزوجها أصغر منها بسنتين.

وفى مساء التاسع من يونيو ١٩٥٣، سيق جوليوس روزنبرج إلى غرفة الإعدام بالكرسى الكهربائى، فأجلس عليه وقُيّد به، ثم غطى رأسه بقناع من الجلد مبلل بالماء المملح «لسرعة توصيل التيار الكهربائى إلى الرأس». ثم قذف بتيار قوته ألفى فولت مرتين متعاقبتين. واستغرق إعدامه دقيقتين وخمساً وأربعين ثانية.

ثم أجلست زوجته «إيثيل روزنبرج» بعده على الكرسى ذاته، وسرى فى جسمها تيار كهربى بالقوة نفسها، لكنها استغرقت وقتاً أطول فى الخروج من الدنيا: نحو خمس دقائق. وشهد عملية الإعدام أحد عشر شخصاً، منهم ثلاثة صحافيين وحاخام يهودى[1] .

---

(١) فؤاد شاكر : الجاسوسية والإرهاب.

## الحملات الصهيونية

وجاء فى تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالى، أن جوليوس روزنبرج كان فى سن السادسة والعشرين عندما عمل لحساب «مخابرات العلوم والتكنولوجيا السوفييتية» المعروفة بـ « S&T » لبضع سنوات وحصل منها مثل الآخرين على مبالغ كبيرة، وكان يعرف باسم «الهوائى».

أما شقيقة روث التى كانت تعرف باسم «واسب ـ أى: الدبور»، فقد صار زوجها ديفيد جاسوساً بواسطتها.

وقال التقرير أيضاً : إن حصيلة الأفلام السرية عن «لوس آلاموس» التى وصلت إلى روسيا من أمريكا عن طريق مجموعة روزنبرج، ارتفعت إلى ٦٠٠ فيلماً عام ١٩٤٤، ثم إلى ١٨٩٦ فيلما فى ١٩٤٥، لدرجة أن المجموعة كانت تجد صعوبة بالغة فى الحصول على الأفلام الخام لتصوير الوثائق والمعلومات.

وعندما اقتحمت قوات الأمن شقة جوليوس روزنبرج بحى «كينكر بوكر» فى نيويورك الذى يسكنه مع فقراء اليهود، كانت زوجته «إيثيل روزنبرج» مشغولة بكتابة أوراق سرية على الآلة الكاتبة.

وأثناء المحاكمة قاد اليهود حملات إعلامية مكثفة داخل الولايات المتحدة وكندا وأوربا الغربية. تشكك فى التهم المنسوبة إلى روزنبرج وتزعم أنها ملفقة أو مبالغ فيها بدافع مناهضة السامية.

وادعت هذه الحملات أيضاً أن هناك خلافات بين ديفيد جرين جلاس وجوليوس روزنبرج ، وأنه أراد الانتقام منه بتلطيخ اسمه وتشويه صورته، بادعاء أنه كان فقط يحكى ـ بلا هدف ـ لزوج أخته ما كان يسمعه ويراه فى مقر عمله بمركز «لوس آلاموس» الذرى، ولم يخطر بباله أن جوليوس ينقل حديث السمر بينهما إلى جهات أجنبية.

وأثناء المحاكمة التى استمرت ثلاثة أسابيع استمرت الحملات الإعلامية الصهيونية فى محاولة للتأثير على الرأى العام وعلى المحلفين بالمحكمة للتعاطف مع إيثيل وزوجها والإيحاء ببراءتها.

وبعد الحكم بإعدامها حاول اليهود بطبيعتهم الإرهابية استثارة الرأى العام ضد حكم الإعدام وإنقاذ حياة الزوجين، أو على الأقل حياة «إيثيل» لكن عبثاً كان ذلك كله[1] .

---

(١) فؤاد شاكر: «مصدر سبق ذكره».

# ميراث الخيانة

ولم يوقف موتهما التساؤلات حول الحقيقة، وقد أطلق سراح دايفد جرين جلاس عام ١٩٦٠ بعد أن خدم أقل من ثلثى مدة الحكم، وعاد إلى زوجته روث فغيرا اسميهما، وبدا حياة جديدة فى مكان مجهول.

بقى جرين جلاس مُصرا على القصة التى ذكرها فى المحكمة بخصوص روزنبرج. وقد أصرَّ مكتب التحقيقات الفدرالى على أن آل روزنبرج كانا عنصراً هاماً فى حلقة تجسس أساسية امتدت فعاليتها لأوسع بكثير من الجريمة التى حكم الزوجان على أساسها.

أما المحامى أيمانويل بلوش والذى توفى إثر نوبة قلبية بعد ٨ أشهر من إعدام آل وزنبرج وكان عمره ٥٢ سنة فقد قال فى مراسيم دفنهما.

ـ «إن الجنون والبربرية والقتل تبدو جزءاً من مشاعر أولئك الذين يحكموننا».

أمـا الأبنـاء ميشـيل وروبـرت روزنـبرج فقـد تابعـا الحملـة بخصوص براءة والديهما، ليساعدهما المجلس الوطنى لإعادة فتح قضية روزنبرغ.

وفى عام ١٩٧٥ ألف روبرت روزنبرج كتابًا بـين فيـه أن فضيحة ووترجيت التى تورط فيها الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون، إنما هى تطور طبيعى لإساءة الحكومة لاستخدام قوتها كما حدث فى محاكمة والديه.

وربما كان الكاتبان سول ستيرن ورونالد رادوش، قد اقتربا من حقيقة قضية روزنبرج أكثر من الجميع، فقد كتبا عام ١٩٧٩ عن وثيقة لمكتب التحقيقات الفدرالى .

- «يبدو أن توريط إيثيل روزنبرج فى القضية كان القصد منه الضغط على زوجها فقط، وأنها أدينت بأدلة ظرفية واهية تم تلفيقها لإجبار زوجها على الاعتراف بتفاصيل مغامراته التجسسية ».

وقد علق الرئيس السوفييتى خروشوف، فيما بعد فى أعقاب محاكمة الطيار الأمريكى «فرانسيس جارى باورز» الذى أسقطت

طائرته التجسسية الأمريكية U-2[1] فوق روسيا عام ١٩٦٠، قائلاً:

ـ « إن الحكم الذى صدر ضد الطيار جارى باورز بالسجن عشر سنوات يعتبر حكماً خفيفاً بالنسبة للذى صدر ضد جوليوس روزنبرج وزوجته ايثيل عام ١٩٥٣ ، الذين أعدمتهما أمريكا بالكرسى الكهربائى لتجسسهما لحساب روسيا، بالرغم من أنهما لم يعترفا بجرمهما كما فعل «باورز»[٢].

---

(١) الطائرة U-2 مركبة غريبة المنظر، لها فتحة جانبية بعرض ٨٠ قدما بحيث تظهر بحيث تظهر كأنها جناح واحد طويل بدون جسم، ولها محرك واحد فقط وضع فى الذيل، وكان مظهرها يخفى الكثير من إمكانياتها التى تفوق الوصف. إذ كانت خفيفة جدا ويمكن تفكيكها ووضعها فى صندوق شاحنة، وقد استغنى تصميمها عن كل ما يزيد من وزنها، كالأجهزة الهيدروليكية مثلا للعجلات ولغطاء الكابينة، وكانت الطائرة ـ وهذا هو الأغرب ـ ذات عجلتين فقط، فى الأمام والخلف، كالدراجة الهوائية تماما، ولكى لا تميل على أحد جناحيها أثناء الإقلاع، زودت بعصى مع عجلات فى الطرفين، وكان رجلين من الطواقم الأرضية يتعلقان بجناحى الطائرة. أما فى الهبوط فلابد للرجلان أيضاً أن يقفزا إلى طرفى الجناحين، بطريقة شبه بهلوانية، لوضع أجهزة التثبيت من جديد. وقد أعطيت الطائرة اسم Utility – 2 فى البداية، واختصر إلى U-2 ، واطلق المهندسون اسم الملاك Angle على الطائرة من أجل تأمين السرية المطلقة، واسم Skunk Works على مستودع التصنيع، وهو اسم حيوان أمريكى نتن الرائحة.

(٢) تمت مبادلة باورز فى فبراير سنة ١٩٦٢ بالجاسوس السوفيتى «رودلف آبل» الذى ألقى القبض عليه فى أحد فنادق نيويورك عام ١٩٥٧ بتهمة التجسس. وجدير بالذكر أن عملية التبادل هذه تعد أول عملية تبادل جواسيس من نوعها.

## كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .




تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com